SHIBLI BOOK DEPOT
LUCKNOW.
شبلی بک ڈپو

الانتقاد

(علی)

کتاب التمدن الاسلامی للفاضل جرجی زیدان

للشیخ الاستاذ شبلی النعمانی الهندی

(اعتنیٰ بطبعه)

القاریٔ محمد عبد الولی بن العلامة الاسی المرحوم

(طبع)

فی مطبعة انشی ٹیس الکائنة فی محمود نگر لکنؤ

سنة ۱۹۱۲ء

جدول الصلاح ما وقع في طبع هذا الكتاب من الخطأ والتصحيف

	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
١	٧	بسايه	بسايسه	٧	١٣	هذه الصنيعة	هذا الصنيع
٢	١	من	٠	〃	٤	لترويح	لترويج
〃	١٣	الخزانة	خزانة	〃	٥	تصيب	يصيب
٣	١٤	حَمَّلْتُ	حملت	〃	٩	تغير	تغيير
〃	١٥	ليس	ليست	٩	٢	بزورهم	بذورهم
〃	١٧	اتبز	ابتزّ	〃	٩	مهدى	المهدى
٤	١	بعرب	عرب				
〃	١٣	يحرّمون	يحرمون	〃	١٣	عرب	عربى
٥	١٥	امثلةً	امثلةً	〃	١٤	عرب	عربى
٦	٢	به	بهم	١٠	٥	كوفة	الكوفة
〃	٤	ابن وقاص	ابن ابى وقاص	〃	٨	كوفة	الكوفة
〃	٦	حيرة	الحيرة	〃	〃	قضايه	قضائه
〃	١٤	وترميه	وترميهم	〃	〃	استنكفوا	لاستنكفوا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
۱۰	۱۲	لايبايع	لانبايع
۱۲	۲	ولدا	ولدًا
〃	۸	مرزولين	مرذولين
〃	۱۰	المَل	المَلل
〃	۱۶	يمن	اليمن
۱۲	۶	الموالى	من الموالى
〃	۱۰	المسايل	المسائل
〃	۱۴	تعذر	تعذرت
〃	۱۶	حسن	الحسن
۱۳	۱	يكون	تكون
〃	۴	المسايل	المسائل
〃	۱۲	يمن	اليمن
۱۴	۱	حجاج	الحجاج
〃	له	عقد الفريد	العقد الفريد
۱۵	۵	مرزولين	مرذولين
۱۵	۹	الهجية	الهيجية
۱۶	۱۶	يلايم	تلايم
〃	〃	الطبعى	الطبيعى
۱۸	۱۰	بادئ الظلم	بادئ بالظلم
〃	۱۶	لرمتها	لزمتها
۱۹	۴	اعتذارا	بالاعتذار
〃	۸	مسايل	مسائل
۱۹	۱۱	رمته	رمّته
〃	۱۶	ولدٌ لمروان	ولدٍ لمروان
۲۰	۱۵	بها	له
〃	۱۶	الموثوقة	الموثوق
〃	۱۷	يكن	تكن
۲۱	۳	المراد	مراد
〃	۶	نال	نالت
۲۲	۱	المختلفة	المختلفة

صفحه	سطر	خطأ	صواب	صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٣	لعلج	العلج	〃	١٥	اليه	اليها
〃	١٦	الوليدُ	الوليدَ	〃	٢٨	طايفة	طائفة
٢٣	١٥	دماءًا	دماءً	〃	١٠	ابالجلوس	بالجلوس
٢٤	٦	ساير	سائر	〃	١٤	يجترئ	يجترئ
〃	٧	يسر	بسر	٣٠	٢	اجترءت	جترأت
〃	٦	الموثوقة	الموثوق	〃	٦	امية	مية
٢٦	٢	يستثن	يستثن	〃	١٠	نتايج	نتائج
〃	٤	باس	بأس	〃	〃	ساير	سائر
〃	٥	كان	كانت	٣١	١١	الكلام	للكلام
〃	〃	رافعا	رافعة	〃	١٢	احدًا	واحدًا
〃	〃	هادما	هادمة	٣٢	٢	القريش	لقريش
〃	١٧	صنيعة	صنيع	٣٣	١	ليتس	ليس
٢٧	١	القايم	القائم	〃	٢	زياد	زيادًا
〃	٨	قايمة	قائمة	〃	٧	ليتس	ليس
〃	١١	ثم قال"	قال" ثم	〃	١١	وسبيلة	وسيلة

صفحہ	سطر	خطأ	صواب
〃	۱۳	الجزيّة	الجزية
〃	۱۵	السلامهم	اسلامهم
〃	۱۶	الجزيّة	الجزية
〃	〃	يكن	تكن
〃	〃	شئ	شيئا
۳۵	۱	عمالٍ	عمالًا
〃	۳	لحرب	الحرب
〃	۸	فى	فى
〃	۱۶	البّ	تالّب
〃	۱۷	قتلوه	قتلوه
۳۶	۲	اشرس	الاشرس
〃	〃	اشرس	الاشرس
〃	۱۵	الجزير	الجزية
۳۷	۲	المؤلف	للمولف
〃	۱۳	لااجتراء	الاجتراء

صفحہ	سطر	خطأ	صواب
۳۸	۱	لان	لاف
〃	۵	الرهبة	الرهبنة
〃	۷	ولكن	لكن
〃	۹	اليهذا البحث	خاتمهذا البحث
〃	۱۸	اهتدنا	اهتدينا
۳۸	۱۹	خيانا تها	خياناته
〃	۲۰	التغمير	التغيير
۳۹	۵	اناشدك بالله	اناشدك الله
〃	۷	شاو	شأو
〃	۱۵	العرب	عرب
〃	〃	العرب	عرب
۴۰	۷	صع نوع	بنوع
〃	۸	المعاوبة	معاوية

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٤٠	١٣	انظروه	انظروا
〃	١٦	حوايج	حوائج
٤١	١٠	لملك	الملك
〃	١٥	حنفية	الحنفية
〃	١٦	كفاءة	كفاية
٤٢	١	هذه	هذا
〃	٥	خلفايهم	خلفائهم
〃	٦	سوال	سوآل
٤٣	١	المودبين	المؤدبين
〃	٥	ضرب	ضربت
٤٤	٥	هنا	هناك
〃	١٥	الذين	فان الذين
〃	٩	بيعة	سعة
٤٥	٨	صماديح	صهاريج
〃	٥	الف	الاف
٤٧		نهوذا	نفوذا
〃	١	المودبين	المؤدبين
〃	١٣	التصحيب في	التصحيف في
٤٩	٢	رجأ	رجاء
〃	٥	استودعت	استيداعها
〃	١٥	يوميذ	يومئذ
٥٠	٣	مدونوا	مدونو
〃	٤	فقد	.
〃	١٢	يزيد عبد	يزيد بن عبد
٥١	٨	سالة	سأله
〃	١٠	الماضين	الماضين
٥٢	١٣	العلمين	العلمين
٥٣	٧	اذا	واذا
٥٤	١٣	موسس	مؤسس
〃	١٤	تضئيقا	تضييقا

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٥٥	١	انتها	انته
〃	٤	ذهب	ذهبت
〃	٧	القرات	القرأن
〃	١٥	النصنغ	التصبغ
٥٦	١	يوموهم	بأموهم
〃	٤	من	عن
٥٧	٦	ساموها	ساموهم
〃	٨	مواضع	موضع
〃	١١	انفهم	انوفهم
〃	١٤	تشأزعنها	تشأزمنها
٥٨	٢	سجنوهم	سجنوا
〃	〃	عذبوهم	عذبوا
〃	٤	تفتخربها	يفتخربها
〃	٧	خاب	خابت
〃	〃	يكادلا	لايكاد
صفحه	سطر	خطأ	صواب
〃	١٣	اضطهدوا على	اضطهدوا
〃	١٤	يوبه	يؤبه
〃	١٦	امرة	امره
٥٩	١	باحراج	باخراج
〃	٨	بهدم	هدم
〃	١٣	الخزانة	خزانة
٦٠	٢	تضريح	تصريح
〃	١٢	موثوقين	موثوق
〃	١١	مّا	ما
٦١	١	محوبها	محوها
〃	٩	ايضاجا	ايضاحًا
〃	٢	هذا	ذلك
〃	١١	قرءة	قراءة
〃	١٠	الايخيل	الانجيل
٦٢	٢	اتشوقوا	تشوقوا

صفحہ	سطر	خطأ	صواب
٦٢	١٦	بالاخبار	بالاخبار
٦٢	٥	ن المسئلة	كانت المسئلة
٦٤	١٠	بن اسلام	بن سلام
٦٥	١	عمو والوادى	عمق الوادى
〃	٩	يكن	تكن
	١١	يتصل	تتصل
	١٣	يكون	تكون
٦٦	٣	اخبار	الاخبار
٦٧	١٣	صار	صارت
٦٩	٩	امبراطورة	امبراطرة
〃	١٦	لو	ان
٧٠	٩	وشام	والشام
〃	١١	حيا	حا
〃	١٣	ما	صا
٧١	١	الخزانة	خزانة
〃	١٠	لسان الاردو	اللسان الاردوى
〃	〃	احد من اهل	احد اهل
〃	١١	شطرُ	شطرٌ
〃	١٥	لموثوقة	الموثوق
٧٢	١	كان ضاعف	ضاعت
〃	٧	عليهم	علمهم
〃	١٣	المصر	مصر
٧٣	٥	تقئيد	تقييد
٧٤	١٤	فراينا	فرأينا
٧٤	١٦	لنصارا اهل الشام	انصار الشام
٧٥	٣	التضئيق	التضييق
〃	٦	الموثوقة	الموثوق
〃	١٦	يجزونهم	يخبرونهم
٧٦	٩	فرجاة اليضاعة	بضاعة مزجاة
〃	١٠	اسماعًا	اسماءً

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٧٦	١٧	المالك	مالكًا
〃	〃	محمد	احمد
٧٧	٩	سبحنه	سجنه
٧٨	١٣	نسخته	نسخة
٧٨	٨	الحماد	لحماد

صفحه	سطر	خطأ	صواب
٧٨	٨	الابراهيم	لابراهيم
٧٩	١٢	وجها	وجهها
〃	١٤	بخلع	بخلع
٨٠	١٢	من احد	احد
〃	١٦	فاخذ	اخذ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه اجمعين

ان الدهر حار العجايب، ومن احدثى عجايبه ان رجلا من رجال العصر يؤلف فى تاريخ تمدن الاسلام كتابا يرتكب فيه من تحريف الكلم وتمويه الباطل وقلب الحكاية والخيانة فى النقل وتعمد الكذب، ما يفوق الحد ويتجاوز النهاية، وينتشر هذا الكتاب فى مصر وهى غرة البلاد وقبة الاسلام ومغرس العلوم ثم يزداد انتشارا فى العرب والعجم مع هذا كله لا يتفطن احد لدسايسه ان هذا الشئ عجاب

لم يكن المرء ليجترى على مثل هذه الفظيعة فى مبتدأ الامر ولكن تدرج الى ذلك شيئا فشيئا فانه اصدر الجزء الثانى من الكتاب وذكر فيه مثالب العرب دسيسة يتطلع بها على احساس الامة وعواطفها ولما لم يتنبه لذلك احد ولم ينبض لاحد عرق ووجد الجو صافيا ارخى العنان وتمادى فى الغى واسرف فى النكاية بالعرب عموما وخلفاء بنى امية خصوصا۔

وكان يمنعنى عن النهوض الى كشف دسايسه اشتغالى بامر ندوة العلماء

ولكن لما عمّ البلاءُ وتوسّع الخرقُ وتفاقم الشرّ لم أطق الصبر فاختلستُ من
من اوقاتي أيّامًا وتصديت للكشف عن عوار هذا التأليف والا بانة عما فيه
من انواع الإفكِ والزورِ واصناف التحريف والتدليس،

معذرة الى المؤلف

انى ايّها الفاضل المولف غير جاحد لمنتك فانك قد نوّهت
باسمي في تاليفك هذا وجعلتني موضع الثقة منك واستشهدت باقوالي و
نصوصي ووصفتني بكوني من اشهر علماء الهند مع انّي اقلهم بضاعة واقصرهم
باعًا واخملهم ذكرا ولكن مع كل ذلك هل كنت ارضى بان تمدحني وتهجو العرب
فتجعلهم غرضا لسهامك ودريّة لرمحك ترميهم بكل معيبة وشين وتعزو اليهم
كل دنيّة وشر حتى تقطعهم ارباربا وتمزّقهم كل ممزق وهل كنت ارضى بان تجعل
بني امية لكونهم عربا بحتا من اشر خلق الله واسوئهم يفتكون بالناس ويسومونهم
سوء العذاب ويهلكون الحرث والنسل ويقتلون الذرية وينهبون الاموال و
يلتهكون الحرمات ويهدمون الكعبة ويتمخّفون بالقران،

وهل كنتُ ارضى بان تنسب حريق الخزانة الاسكندرية الى عمر
ابن الخطاب الذى قامت بعدله الارض والسماء وهل كنت ارضى بان تمدح
بني العباس فتعدّ من احدى مفاخرهم انهم نزّلوا العرب منزلة الكلب حتى ضرب
بذلك المثل وان المنصور بنى لقبته الخضراء ارغامًا للكعبة وقطع الميرة عن الحرمين
استهانة بهما وان المامون كان ينكر نزول القران وان المعتصم بالله انشأ كعبة

فی سامراوجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفات۔

وهب انی عدمت الغیرة علی الملة والدین وافتخرت کصنیع بعض الاجانب بان فلسفی بحت عادم لکل عاطفة ووجدان فلا ارضی ولا اغضب ولا اسر ولا اغتاظ ولا افرح ولا اتالم وهب انی حملت نفسی علی احتمال الضیم وقبول المکروہ والصمم عن البلاء ومجازاة السیئة بالحسنة ومکافاة الخبیث بالطیب فهل کنت ارضی بان تشوہ وجه التاریخ وتدمغ الحق وتروج الکذب وتفسد الروایة وتقلب الحقیقة وتنفق التهم وتعود الناس بالخرافة۔ بئس ما زعمت ایها الفاضل فان فی الناس بقایا وان الحق لا یعدم انصارا

ان الغایة التی توخاها المؤلف لیست الا تحقیر الامة العربیة وابداء مساویها ولکن لما کان یخاف ثورة الفتنة، غیر مجری القول ولبس الباطل بالحق لیبین ذلک انه جعل لعصر الاسلام ثلثة ادوار دور الخلفاء الراشدین ودور بنی امیة ودور بنی العباس، فمدح الدور الاول وکذلک الثالث (ظاهرا لا باطنا کما سیجئ) ولما غر الناس بمدحه للخلفاء الراشدین وهم سادتنا وقدوتنا فی الدین وبمدحه لبنی العباس وهم ابناء عم النبی وبهم فخارنا فی بث التمدن وابهة الملک، ورای ان بنی امیة لیس لهم وجهة دینیة فلا ناصر لهم ولا مدافع عنهم تفرغ لهم وحمل علیهم حملة شنعاء فما ترک سیئة الا وعزاها الیهم وما خلی حسنة الا وانتزعها منهم، ثم لو کان هذا لاجل انهم من آل مروان او لکونهم من سلالة

اُمَيَّة لكنا فى غِنىً عن الذبِّ عنهم والحماية لهم ولكن كُلّ ذنبهم انهم العرب على صرافتهم ما شأنهم العجمية مطلقًا كما قال

" ويمتاز (اى دولة بنى امية) عن الدولة العباسية بانها عربية بحتة" (الجزء الثانى من تمدن الاسلام)

وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية اساسها طلب السلطة والتغلب" (الجزء الرابع صفحة ١٠٣)

عصبية العرب على العجم

اطال المولف واطنب فى اثبات هذه الدعوى فذكر طرفا منه فى الجزء الثانى مدسوسا (انظر صفحة ١٨) ثم جعل له عنوانا خاصًا فى الجزء الرابع (٥٨)

وهذه نصوصه،

"فان العرب كانوا يعاملونهم معاملة العبيد"

" واذا صلوا خلفهم فى المسجد حسبوا ذلك تواضعًا لله،

" وكانوا يحرمون الموالى من الكُنى ولا يدعونهم الا بالاسماء والالقاب ولا يمشون فى الصف معهم"

" وكانوا يقولون لا يقطع الصلوٰة الا ثلثة حمارٌ او كلبٌ او مولىً"

"فكان العربى يعدّ نفسه سيدا على غير العربى ويرى انه خُلق للسيادة وذاك للخدمة"

"فتوهم العرب في نفسهم الفضل على سائر الامم حتى في ابدانهم وامزجتهم فكانوا يعتقدون انه لا يحمل في سنّ الستين الا قرشية ... وان القارح لا يصيب ابدانهم" "ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء فقالوا لا يصلح للقضاء الا عربيّ وحرّموا منصب الخلافة على ابن الامة ولو كان ابوه قرشيا ... ولا يزوّجون الا عجمي عربية ولو كان اميرًا وكانت هي من احقر القبايل".

"وكان الامويون في ايام معاوية يعدّون الموالي اتباعًا وارقّاءً وتكاثروا فادرك معاوية الخطر من تكاثرهم على دولة العرب فهمّ ان يأمر بقتلهم كلّهم او بعضهم".

اعلم ان للمؤلف في نفاق باطله اطوارًا شتّى،

فمنها تعمد الكذب كما سترى"،

ومنها تعميمه لواقعةٍ جزئية،

ومنها الخيانة في النقل وتحريف الكلم عن مواضعها،

ومنها الاستشهاد بمصادر غير موثقةٍ مثل كتب المحاضرات والفكاهات وهاك امثلةً من كل نوع منها قال، "اذا صلوا خلفهم في المسجد حسبوا ذلك تواضعًا لله وكانوا يحرمون الموالي من الكنى الخ" "وكانوا يقولون لا يقطع الصلوة الا ثلثة" الخ.

غيرُ خافٍ على من له المامٌ بتاريخ الفرس والعرب ان الفرس كانت قبل الاسلام تحتقر العرب وتزدري به ولما ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابه الى كسرى العجم اشمأز وقال عبدى يكتبُ الىّ وكتب يزدجرد الى سعد ابن وقاص فاتح القادسية ان العرب مع شُرب البان الابل واكل الضبِّ بلغ بهم الحالُ الى ان تمنوا دولة العجم فأُفٍّ لكَ ايتها الدهر الدايرُ، و كانت ملوك حيرة تحتَ امرة ملوك العجم۔

ثم لما شرف الله العرب بالاسلام انتصفت العربُ من العجم و استنكفوا من سيادتهم عليهم

وجاءت الشريعة الاسلامية ماحية لكل فخر و نخوة فقال رسول الله فى خطبته الاخيرة فى حجة الوداع، ان لا فضل للعربى على العجمى ولا للعجمى على العربى كلكم ابناء آدم،

وحينئذٍ ارتفع التمايز و تساوى الناس ولكن مع ذلك بقيت فى بعض الناس من كلا الطرفين حزازات كامنة فى صدورهم كانت سببا لحدوث حزبين متقابلين يُسمّى احدهما الشُّعوبيّة وهى التى تحتقر العرب و ترميه بكل معيبة حتّى ان ابا عبيدة صنّف كتبًا عديدةً يطعن فيها على انساب كل قبيلة من قبايل العرب، والثانى المتعصّبون للعرب وقد عقد العلّامةُ ابن عبد ربّه فى كتابه العقد الفريد بابًا فى ذمّ كلا الطرفين

واقوالها ومعظم ما نقله المولف فى اثبات عصبية العرب هى اقوال ذكرها صاحب العقد فى هذا الباب كما لوّح به المولف فى اول كتابه. واذا تصفحت الكتب يظهر لك ان الاقوال التى نسبها الى العرب عمومًا انما هى اقوال شرذمةٍ خاصةٍ موسومة باصحاب العصبية وصاحب العقد حيثما ذكر هذه الاقوال صدّرها بقوله "قال اصحاب العصبية من العرب"، وانت تعلم ان هذه العصبة ليست كافّة العرب ولا اكثرها بل ولا عشر معشارها فانك سترى انّ هؤلاء اناس شذرة مغمورون فى الناس، ثم ان المؤلف ما اقتنع بذلك بل رُبّما نسب قول رجل معيّن معلوم الاسم الى العرب عامة،

فقال ناقلا عن كتاب العقد "وكانوا يكرهون ان يصلوا خلف الموالى واذا صلّوا خلفهم قالوا انما نفعل ذلك تواضعا لله" فان صاحب العقد نسب هذا القول الى نافع بن جبير فاخذه المؤلف وجعله قولا عاما للعرب وهذه الصنعة اعنى تعميم الواقعة الجزئية هى اكبر الحيل التى يرتكبها المؤلف لترويج باطله بل هى قطب رحى تاليفه،

قال المؤلف "فادرك معاوية الخطر من تكاثرهم على دولة العرب فهمّ ان يامر بقتلهم كلهم او بعضهم" (الجزء الرابع صفحة ٥٩) ان نص معاوية الذى نقله المؤلف بعد هذه العبارة هو هذا، "كانى انظر الى

وثبة منهم على العرب والسلطان فرايت ان اقتل شطرًا واَدَعَ شطرًا" فانت ترى ان الرواية على تقدير صحتها ليس فيها الا ان معاوية راى ان يقتل شطرًا منهم ولكن المولف زاد على العبارة وقال ان معاوية همّ ان يامر بقتلهم كلّهم.

قال المؤلف فكانوا يعتقدون ان الفالج لا تصيب ابدانهم" (الجزء الرابع صفحة ٦٠)

استشهد فى هذه الدعوى بطبقات الاطباء كما لوّح فى هامش الكتاب وايم الله لو كُنتَ تَقِفُ على عبارة الطبقات لَوقعتَ فى اشدّ حيرة من اجتراء المؤلّف على قلب الحكاية وتغيير الرواية، ذكر صاحب الطبقات تحت ترجمة عيسى الطبيب الراجح انه نصرانى ان المهدى ضربه فالج فحضر المتطببون ومنهم عيسى صاحب الترجمة فقال المهدى بن المنصور بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس يضربه فالج لا والله لا يضرب احدًا من هؤلاء ولا نسلهم فالج ابدًا الا ان يبذروا بذورهم فى الروميات والصقلبيات وما اشبههن"

قد نقل صاحب الطبقات بعد الحكاية المذكورة عن يوسف الطبيب ان ابراهيم بن المهدى لما اعتلّ بعلة شبيهة بالفالج ودعا يوسف وقال له ما العلة عندك فى عرض هذه العلة بى علمت انه كان حفظ

عن امه قول عيسى ابى قريش فى المهدى وولده انه لا يعرض لعقب الفالج
الا ان يبذروا بزورهم فى الرومیات وانه قد آمل ان يكون الذى به فالجا
لا عارض الموت، فقلت لا اعرف لانكارك هذه العلة معنى اذا كانت أمك
التى قامت عنك دنبا وندية ودنبا وندا شد بردا من كل ارض الروم
فكانه تفرج الى قولى وصدقنى واظهر السرور،

فانت ترى ان الظن ببراءة تهر عن الفالج انما كان مبناه حر
ارض العرب وليس له ادنى مساس بشرف النسل ولو كان كما يتبادر
الى الذهن من علاسماء اباء المهدى فهو يختص بعايلة النبى عليه السلام
لا يفهم منه العموم مطلقا ولذلك لما ذكر لابراهيم (وهو ابن الخليفة مهدى)
ان أمه من دنبا وند وهو اشد بردا من ارض الروم، ذهب عنه
استغرابه عروض الفالج له،

فانظر كيف كان مجرى الحكاية فغيرها المؤلف وارتكب لذلك خيانات تترى
ثم ان هذا قول عيسى الطبيب ولا يدرى انه عرب ام لا وغالب الظن
انه نصرانى وهب انه عرب فهو رجل من حاشية الدولة يريد التزلف
الى الخليفة والتملق له فهل يكون قوله قول العرب كافة

قال المؤلف ومنعوا غير العرب من المناصب الدينية المهمة كالقضاء
فقالوا لا يصلح للقضاء الا عربى (الجزء الرابع صفحة ٦) واسند هذه الرواية الى ابن خلكان

حقيقة هذا القول انّ الحجّاج لمّا اسر سعيد بن جبير التابعي المشهور وكان من الموالي قال له ممتنّا عليه اما جعلتك اماما للصلوة في الكوفة ولم يكن في الكوفة الا العرب قال ابن جبير بلى ثم قال له الحجّاج اليس انّي لمّا اردت ان اولّيك قضاء الكوفة ضجّت العرب وقالوا لا يصلح للقضاء الا عربيّ وقد ذكر الرواية ابن خلكان بطولها ولا يخفى عليك ان كوفة لم يكن اذ ذاك فيها الا العرب وظاهر ان القضاء لا يصلح له الا من كان عارفا بعوايد الامة مطلعا على خصايصهم وكيفية تعاملهم فيما بينهم وسعيد بن جبير لم يكن من العرب ولو كان استنكاف اهل كوفة من قضايه لاجل كونه من الموالي استنكفوا من امامته للصلوة فان الامامة اعظم شرفا وارفع محلا من القضاء وهذا ابو حنيفة كان من الموالي وقد اراد وان يولّوه القضاء في عصر بني امية فامتنع ولم يرض بذلك وقد ذكر الواقعة ابن خلكان مفصّلا،

قال المؤلف "وحرّموا منصبا لخلافة علي بن الامة ولو كان قرشيا" نعم ولكن لم يكن هذا للاستهانة به قال الاصمعي كانت بنو امية لا يبايع لبني مهات الاولاد فكان الناس يرون ان ذلك للاستهانة بهم ولم يكن لذلك ولكن لما كانوا يرون ان زوال ملكهم على يد ابن ام ولد[1] "اما ما استدلّ به المؤلف من قول هشام بن عبد الملك لزيد بن علي

[1] انظر الجزء الثاني من العقد الفريد طبع مصر صفحة ٣٣٠

انك ابن امة ولذلك لا تصلح للخلافة فقد رد عليه زيدٌ وقال ان اسماعيل كان ولد الجارية وكان سيد البشر محمد من سلالته ومن المعلوم ان زيدا وهو ابن الامام زين العابدين ارفع شانا واعظم محلا واطيب اروما واصدق قولا من هشام ثم لو كان هذا الامر حقا ما كانوا يولّون الخلافة يزيد بن الوليد الاموى ومروان الحمار وهما ابنا امة،

ولما فرغنا عن ابداء شطرٍ من خيانات المؤلف ليكون كالعنوان على دابه فى تاليفاته حان لنا ان نُحقّق اصل المسئلة اى ان العجم والموالى هل كانوا آذِلّاء ساقطين مرذولين يعاملون معاملة العبيد فى عصر بنى اميّة كما يدعيه المؤلف او كانوا بمحل من الشرف والعزّة يعترف لهم العرب بالفضل والسّودد ويوفّى لهم اوفى قسطٍ والمَل حق اعلم ان البلاد الّتى كانت عواصم الاقاليم وقواعدها فى عصر بنى امية هى مكة والمدينة والبصرة والكوفة واليمن ومصر والشام والجزيرة وخراسان وكان لكل هذه الاصقاع امامٌ يقودهم ويسود عليهم وهذه اسماءهم،

مكة المشرفة،	عطاء بن ابى رباح وهو استاذ الامام ابى حنيفة
يمن	طاؤس،
الشام،	مكحول،

مصر،	يزيد بن ابى حبيب،
الجزيرة،	ميمون بن مهران،
خراسان،	ضحاك بن مزاحم،
البصرة	الامام الحسن البصرى،
الكوفة،	ابراهيم النخعى،

وكل هؤلاء غير ابراهيم النخعى كانوا الموالى وبعضهم ابناء الامأ ومع كونهم اعجامًا وكونهم اولاد الاماء كانوا سادة الناس وقادتهم تذعن لهم العرب وتختر مهم خلفاء بنى امية وولاة الامر،

فاما عطاء بن ابى رباح فمع كونه ابن سندية كان شيخ الحرم واليه المرجع فى الفتوى وعليه المعوّل فى المسايل، قال ابن خلكان فى ترجمته قال ابراهيم بن عمرو بن كيسان اذكرهم فى زمان بنى امية يامرون فى الحج صايحا يصيح لا يفتى الناس الّا عطاء بن ابى رباح، وهل يمكن ان ينادى بمثل ذلك من غير رضى الخلفاء واما طاؤس فلما قضى نحبه بمكة ازدحم الناس فى جنازته حتى تعذر الصلوة عليه وكان ابراهيم بن هشام اذ ذاك واليا على مكة فاستعان بالشرطة ومشى فى جنازته عبد الله ابن الامام حسن عليه السّلام واضعًا نعشه على عاتقه وصلّى عليه الخليفة هشام بن عبد الملك الاموى ذكر كل هذا العلامة

ابن خلکان فی ترجمۃ طاؤس فھل یکون منزلۃ اعظم من ذلک،

واما مکحول الشامی فاحد الائمۃ المتبوعین وقال الزھری لعلماء اربعۃ فلان وفلان ومکحول واما یزید بن ابی حبیب فھو الذی ارسلہ عمر بن عبد العزیز لیفقہ الناس فی مصر ویفیتھم فی المسایل وھو المعلم الاول لھم کما صرح بذلک السیوطی فی حسن المحاضرۃ واما میمون بن مھران فمع فضیلتہ وسیادتہ کان امیرًا علی الخراج فی الجزیرۃ کما صرح بہ ابن قتیبۃ فی المعارف اما حسن البصری فحدث عن البحر ولا حرج، یذعن لہ الملوک والسادۃ والقُوّاد وعلیہ المعوّل والیہ المنتہی،

ذکر السخاوی فی شرح الفیۃ الحدیث للعراقی (طبع لکھنؤ صفحہ ۹۹ و ۹۹) ان ھشامًا قال للزھری من یسود اھل مکۃ قال عطاء قال بمساد ھم قال بالدیانۃ والروایۃ قال ھشام نعم من کان ذا دیانۃ حُقّت الریاسۃ لہ ثم سأل عن یمن قال طاؤس وکذلک سال عن مصر والجزیرۃ وخراسان والبصرۃ والکوفۃ فاخذ الزُّھری یعدّ اسماء سادات ھذہ البلاد وکُلّما سمّی رجلا کان ھشام یسأل ھل ھو عربیّ ام مولًی وکان یقول الزھری مولًی الی ان اتی علی النخعی وقال انہ عربی فقال ھشام الآن فرجت عنی واللہ لیسودنّ الموالی العرب ویخطب لھم علی المنابر والعرب تحتھم،

ان التابعین لھم اعلی محل فی تاریخ الاسلام۔ وراسھم

سعید بن جبیر وھو اسود وقد ولاہ حجاج بن یوسف امامۃ الصلوٰۃ فی الکوفۃ کما ذکرہ ابن خلکان فی ترجمتہ والکوفۃ اذ ذاک جمجمۃ العرب وقبۃ الاسلام وھل یصح بعد ذالک دعوی المؤلف ان العرب کانت تستنکف عن الصلوٰۃ خلف الموالی،

وھذا سلیمان الاعمش استاد الثوری کان عبدا عجمیا وکان بمنزلۃ من العز والشرف انہ لما کتب الیہ الخلیفۃ ھشام بن عبد الملک ان یکتب لہ مناقب عثمان ومساوی علی اخذ کتاب ھشام والقاہ عنزا کان عندہ وقال للرسول قل لھشام ھذا جواب کتابک (ابن خلکان ترجمۃ الاعمش)

وھذا حماد الراویۃ الذی دوّن المعلقات ولہ المکانۃ الکبری فی الادب والشعر کان عبدا اسود وکانت ملوک بنی امیۃ تقدمہ وتوثرہ وتستزیرہ کما ذکرہ ابن خلکان،

وھذا سالم بن عبد اللہ بن عمر کان ابن امۃ ولما دخل الخلیفۃ ھشام بن عبد الملک المدینۃ ارسل الیہ یدعوہ فاعتذر فدخل علیہ ھشام ووصلہ بعشرۃ الاف ثم لما حج ورجع کان سالم اذ ذاک مریضا فذھب لعیادتہ ولما توفی صلی علیہ وقال لا ادری بای الامرین انا اسر بحجتی ام بصلوتی علی سالم رحمہ اللہ

سالم عبد الله بن عمر بن الخطاب

النص القاطع في هذا البحث

ذكر ابو العباس المبرد في كامله ما هو قول فصل في هذا الباب الابدع مجالا للريب - ولا مستعا للشك، قال

" وانما ذكرنا هذا لتقدم قريش في اكرام موالیها، ولی رسول الله صلی الله علیه وسلم جيش موتة زيدًا مولاه... وامّر رسول الله اسامة بن زيد فبلغه ان قوما قد طعنوا في امارته فقال لقد طعنتم في امارة ابيه وقد كان لها اهلا وان اسامة لها لاهل، قالت عائشة لو كان زيد حيًّا ما استخلف رسول الله غيره وقال عبد الله بن عمر لابيه لم فضلت اسامة علیّ وانا وهو سيّان فقال كان ابوه احب الی رسول الله من ابيك وكان احب الی رسول الله منك واوصی رسول الله بعض ازواجه لتميط عن اسامة اذی من مخاط او لعاب فكانها تكرهته فتولی منه ذلك رسول الله .... وكان ادّی الی بنی قريظة مكاتبة سلمان فكان سلمان مولی رسول الله فقال علی بن ابی طالب رض سلمان منا اهل البيت، ويروی ان المهديّ نظر اليه ويد عمارة ابن حمزة في يده فقال له رجل من هذا يا امير المومنين فقال اخي وابن عمي عمارة بن حمزة فلمّا ولّی الرجل ذكر ذلك المهديّ كالمازح لعمارة فقال لعمارة انتظرت ان تقول "ومولای" فانفض والله يده من بين يدی فتبسم امير المؤمنين المهدی ولم يكن الاكرام للموالی في جفاة العرب، زعم اللّيثی انه كانت بين جعفر بن سليمان وبين مسمع بن كردين منازعة وبين يدی مسمع مولی له، له بهاء ورواء ولسن فوجّه جعفر مولی له لينازعه ومجلس مسمع حافل فقال ان انصفني والله جعفرا نصفته وان حضر حضرت معه وان عند عن الحق عدلت عنه وان وجّه الیّ مولی مثل هذا وامأ الی مولی جعفر فقال مولی مثل هذا عاضًّا

لما يكره وتجهت اليه واومأ الى مولاه فعجب اهل المجلس من وضعه مولاه ذلك الذى تبهاً بمثله العرب قيل لرجل لابيه والمولى لموالية وفى بعض الاحاديث ان المعتق من فضل طينة المعتق ويروى ان سلمان اخذ من بين يدى رسول الله تمرة من تمر الصدقة فوضعها فى فيه فانتزعها رسول الله فقال يا ابا عبد الله انما يحل لك من هذا ما يحل لنا ويروى ان رجلا من موالى بنى مازن يقال له عبد الله بن سليمان وكان من جلة الرجال نازع عمرو بن هدّاب المازنى وهو فى ذلك الوقت سيد بنى تميم قاطبة فظهر عليه المولى حتى اذن له فى داره فادخل الفعلة دار عمرو فلما قلع من سطحه سافا كف عنه ثم قال يا عمر قد اريتك القدرة وسأريك العفو وقد كان فى قريش من فيه جفوة ونبوة كان نافع بن جبير احد بنى نوفل بن عبد مناف اذا مرّ عليه بالجنازة سأل عنها فان قيل قريش قال اقواماه وان قيل عربى قال واماداتاه وان قيل مولى وعجمى قال اللهم هم عبادك فاخذ منهم من شئت وتدع ويروى ان ناسكا من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم كان يقول فى قصصه اللهم اغفر للعرب خاصة وللموالى عامة فاما العجم فهم عبيدك والامر اليك وقيل الاصمعى قال سمعت اعرابيا يقول لاخر اترى هذه العجم تنكح نساءنا قال ارى ذلك والله بالاعمال الصالحة قال توطأ والله رقابنا قبل ذلك" انتهى (صفحة ١٠، و١١، و١٢، طبع اوربا)

تدل هذه النصوص على امور،

١- ان اكرام الموالى كان من دين العرب عامة وقريش منها خاصة۔

٢- لم يكن الاكرام للموالى واكثرهم العجم عند جفاة العرب ونباتها كما لم يكن الاكرام للعرب عند الشعوبية واكثرهم العجم،

٣- كان نافع بن جبير وامثاله من جفاة العرب فلا يصح الاستدلال باقوالهم على

ولو اخذنا فى تعداد امثال هذه الوقايع لطال الكلام ومل الناظرون ويظهر مما مرّ عليك ان الموالى كانوا فى ايام بنى امية باعلى محل من الشرف والمكانة وكانت العرب تذعن لهم وتقدّمهم وتقتدى بهم وترفع شانهم، فهل يصح قول المؤلف بعد ذلك ان الموالى وابناء الاماء كانوا فى عصر بنى امية مرذولين ساقطين يُزدرى بهم ولا يقام لهم وزنٌ وكان العرب وبنو امية يعاملونهم معاملة العبيد،

مثالب بنى امية المقصد الذى جعله المؤلف نصب عينه ومرمى غايته هو ان الامة العربيّة اذا بقيت على صرافتها فهى جامعة لجميع اشتات الشرّ اى الجور والقسوة والهمجيّة وسفك الدماء والفتك بالناس ولكن لما كان لا يقدر على اظهار هذا المقصد تصريحا احتال فى ذلك فغمّض المذهب وجعل الكلام طيّبا ظاهره ذلك بان قسّم عصر الاسلام الى ثلثة ادوار - فمدح سياسة الخلفاء الراشدين وقال بعد مدحها.

على ان سياسة الراشدين على الاجمال ليست مما يلايم طبيعة العمران او تقتضيه سياسة الملك وانما هى خلافة دينية توفّقت الى رجال يندر اجتماعهم فى عصر - فاهل العلم بالعمران لا يرون هذه السياسة تصلح لتدبير الممالك فى غير ذلك العصر العجيب وان انقلاب تلك الخلافة الدينية الى الملك السياسى لم يكن عنه بد (الجزء الرابع، صفحه ٣٠ و ٣١)

فاثبت بذلك ان سياسة الخلفاء الراشدين ليست فيها اسوة للناس وانها من مستثنيات الطبيعة اما دور العباسيين فمدحه ولكن لا لاجل انه دولة عربية بل لكونها فارسية مادة وقواما موتلفا ونظاما وصرح بذلك فقال "

دعونا هذا العصر فارسيا مع انه داخل فى عصر الدولة العباسية لان تلك على كونها عربية من حيث خلفاءها ولغتها ودياناتها ففى فارسية من حيث سياستها وادارتها لان الفرس نصروها وايدوها ثم هم نظموا حكومتها وادارو شيونها ومنهم وزرائها وامراوها وكتابها وحجابها ،

(الجزء الرابع صفحه ١٠٦)

ثم اشار فى غير موضع ان الدولة العربية الشاذجة انما هى دولة بنى امية فقال ،

" وجملة القول ان الدولة الاموية دولة عربية " (الجزء الرابع صفحه ١٠٢)

" وظل العرب فى ايام بنى امية على بداوتهم وجفاوتهم وكان خلفاءها يرسلون اولادهم الى البادية لاتقان اللغة واكتساب اساليب البدو وآدابهم (الجزء الرابع صفحه ٦١)

ولما اثبت ان خلافة الراشدين لم تكن يلايم النظام الطبعى وان دولة بنى العباس دولة فارسية وان الباقى على صرافتها هى الدولة الاموية

اخذ یعدّ دمثالب بنی امیة تحت عنوانات مستقلة منها الاستخفاف بالدین واهله ومنها الاستهانة بالقرآن والحرمین ومنها الفتك والبطش ومنها قتل الاطفال ومنها خزانة الرؤس واتی فی مطاوی هذه العنوانات من الافك والاختلاق والتحریف والتبدیل بما تجاوز الحد وخرج عن طور القیاس والآن اذکر نبذًا منها واکشف عن جلیّة حالها،

الاستهانة بالقرآن والحرمین قال المؤلف تحت هذا العنوان،

أما عبد الملك فکان یری الشدة ویجاهر بطلب التغلب بالقوة والعنف ولو خالف الدین ... لانه صرح باستهانة الدین منذ ولی الخلافة ... ذکروا انه لما جاؤه بخبر الخلافة کان قاعدًا والمصحف فی حجره فاطبقه وقال هذا آخر العهد بك او هذا فراق بینی وبینك فلا غرو بعد ذلك اذا اباح لعامله الحجاج ان یضرب الکعبة بالمنجنیق وان یقتل ابن الزبیر ویحتز راسه بیده داخل مسجد الکعبة ... وظلوا یقتلون الناس فیها ثلاثا وهدموا الکعبة وهی بیت الله عندهم واوقدوا النیران بین احجارها واستارها (الجزء الرابع صفحة ۷۸ و ۷۹)

الحکایة علی الاجمال ان ابن الزبیر ادّعی الخلافة فملك الحرمین والعراق وکاد یغلب علی الشام وکان امره کل یوم فی ازدیاد وبازائه بنو امیة فی الشام فلما تولّی عبد الملك الخلافة ارسل الحجاج الی ابن الزبیر فحاصره ولاذ ابن الزبیر

بمكة فنصب الحجاج المنجنيق على الزيادة التي كان زادها ابن الزبير (كما يجي تفصيله)
يعرف كل من له ادنى المام بالتاريخ ان الحجاج ما اراد الا قتال ابن الزبير
ولكونه لائذًا بالكعبة اضطرّ الى نصب المنجنيق على الكعبة ولكن مع ذلك تحرز
عن رمي الكعبة فحوّل وجهها الى زيادة ابن الزُّبير فانظر كيف غيّر المؤلف مجرى
الحكاية فصدّر الباب بالاستهانة بالقرآن والحرمين ثم ذكر ان عبد الملك قال
للقرآن هذا فراق بيني وبينك وانه اباح للحجاج ضرب الكعبة بالمنجنيق وهدم
الكعبة وايقاد النيران بين استارها فالناظر في عبارته يتوهّم بل يستيقن ان
عبد الملك تفرّغ من بدء الامر للاستهانة بالدين والقرآن والحرمين وجعل
الاستهانة نصب عينه ومرمى غايته وقتل ابن الزبير كان اتفاقًا لانه دافع عن مكة او
لكونه ايضا من جنس الاستهانة بالحرم اما تفصيل الواقعة وتعيين بادئ الظلم
فهو انّ ابن الزبير لما استولى على الحرمين اخرج بني امية من المدينة فخرج مروان
وابنه عبد الملك وهو عليلٌ مجدَّرٌ فاستولى على الشام وصدّت من ابن الزبير
افعالٌ نقموا عليه لاجلها فمنها انه تحامل على بني هاشم واظهر لهم العداوة والبغضاء
حتى انه ترك الصلوة على النبي في الخطبة ولما سألوه عن هذا قال ان للنبي اهل
سوء يرفعون رؤسهم اذا سمعوا به[1] ومنها انه هدم الكعبة ومع ان هدمها لم يكن
الا لرمّتها واصلاحها ولكن لم يكن هذا ما لوفا للناس ولذلك تحوز النبي عليه السلام

[1] اليعقوبي طبع اوربا صفحة ٣١١ من الجزء الثاني [2] الجزء الثاني من اليعقوبي صفحة ٣١١ -

عن ادخال الحطيم فى الكعبة فاتخذ الحجاج هذه الامور وسيلة لاغراء الناس على
ابن الزبير ولعل ابن الزبير كان مضطرا الى هذه الاعمال ولكن من شريطة العدل
ان نوفى كل واحد قسطه من الحق فاذا اعتذرنا لابن الزبير فعبد الملك احق منه
اعتذارا فان ابن الزبير هو البادئ والبادئ اظلم ويظهر من هذا ان عبد الملك
ما اراد الحط من شان الكعبة ومس شرفها ولكن اضطر الى قتال ابن الزبير فوقع
ما وقع عرضا غير مقصود بالذات ولذلك لما نصب الحجاج المناجيق على الكعبة
حولها عن الكعبة وجعل الغرض الزيادة التى كان زادها ابن الزبير صرح بذلك
العلامة البشارى فى احسن التقاسيم ثم ان من مسايل الفقه ان البغاة اذا تحصنوا
بالكعبة لا يمنع هذا عن قتالهم ولذلك امر النبى فى وقعة الفتح بقتل احدهم وهو
متعلق باستار الكعبة وابن الزبير كان عند اهل الشام من البغاة والمارقين عن الدين
ولو كان ارادة الحجاج الاستهانة بالحرم فما كان مراده من رمته واصلاحه
بعد قتل ابن الزبير ومعلوم ان تعمير الحجاج هو الى يوم كعبة الاسلام وقبلة المسلمين كافة
اما قول عبد الملك للقران هذا فراق بينى وبينك، فحقيقته ان
عبد الملك كان قبل الخلافة ناسكا منقطعا الى العبادة لا يشتغل بشئ من الدنيا
قال نافع ما رايت فى المدينة اشد نسكا وعبادة من عبد الملك ولما سالوا ابن
عمر الى من نرجع فى الفتوى بعدك قال ولد المروان وكان يقول ابن الزناد الفقهاء
فى المدينة سبع احدهم عبد الملك وقال الامام الشعبى ما جالست احدا الا وجدت

عليه لفضل الا عبد الملك بن مروان، ذكر كل هذه الاقوال العلامة السيوطي في تاريخه
للخلفاء فلما جاءته الخلافة وهو يقرء القرآن تصور خطارة الامر وان مثل هذا
العبأ لا يمكن تحمله الا لمنقطع اليه فقال تحيرا هذا اخر العهد بك اى الان لا يمكن
الا نقطاع الى العبادة وقراءة القرآن كما كان دابي وديدنه ولا وليس هذا على سبيل الاستهانة
بالدين مطلقا فانا نرى اشتغال عبد الملك بالفرائض والسنن فيما بعد فهو يصوم
ويصلي ويحج قال اليعقوبي في تاريخه واقام الحج للناس في ولايته سنة ٦٢ سنة ٦٣
الحجاج بن يوسف وسنة ٦٤ سنة الحجاج ايضا وسنة ٦٥ سنة عبد الملك بن مروان
وسنة ٦٦ سنة ابان بن عثمان بن عفان، وسنة ٦٧ سنة ابان ايضا وسنة ٦٨ سنة وسنة ٦٩ سنة
ابان ايضا وسنة ٧٠ سنة سليمان بن عبد الملك (وسرد باقي السنوات فتركناها)
وعبد الملك هو الذي كسا الكعبة الديباج فهل هذا صنيع من يريد الاستهانة بالحرم،

قال المولف،

"ويحتز راسه بيده داخل مسجد الكعبة" (الجزء الرابع صفحة ٩٧)

استند المؤلف في هذه الرواية بالعقد الفريد لابن عبد ربه والاستناد
بمثل هذه الكتب في مثل هذه الوقايع هو من احدى حيل المولف المعتادة
بها فانت تعلم ان حادثة قتل ابن الزبير مذكورة في الطبري وابن الاثير وغيرها
من المصادر التاريخية المتداولة الموثوقة بها وعليها المعول واليها المرجع لكن
لما لم يكن كيفية الحادثة في هذه الكتب وفق هوى المؤلف اعرض عن هذه كلها

وتشبث بكتابٍ هو فى عداد المحاضرات انا يرجع الى امثاله اذا لم يكن فى لباب مستند غيره ومتى ما لم يخالف الاصول، والمذكور فى الطبرى وغيره ان عبد الله بن الزبير اصيب فى الحجون وقتل هناك قتله رجل من المراد وما احتز راسه داخل الكعبة،

قال المؤلف "وهدموا الكعبة"،

قد منا ان الكعبة لم تكن غرضا للحجاج وانما كان غرضه لما ضيق على الزيادة التى زادها ابن الزبير ولما كانت متصلة بالكعبة نال الاحجار من الكعبة ولكن بعد ما استتب له القتال اول ما فعله الحجاج كان امره بكنس المسجد الحرام من الحجارة والدم كما نص عليه ابن الاثير فهل كنس المسجد الحرام من الحجارة والدم وهدم الكعبة شئ واحد،

اما ما نقل المؤلف عن كفر الوليد وانه امر بالمصحف فعلقوه واخذ القوس والنبل وجعل يرميه حتى مزقه وانشد،

اتوعد كل جبارٍ عنيد	فها انا ذاك جبارٌ عنيدُ
اذا لاقيت ربك يوم حشرٍ	فقل يا رب مزقنى الوليدُ

ونقل هذه الرواية عن الاغانى فهى من خرافات الاغانى ومعلوم ان صاحب الاغانى شيعى، ديانته شنآن بنى امية والحظ منهم اما الابيات فاثر التوليد ظاهر عليها ومن له ادنى مسكة بالادب يشهد ان نسجها غير نسج الاوائل، فاما جهابذة المحدثين المرجوع اليهم فى نقد الروايات والذين

قولهم وفصل فى هذا الباب فيجب ان امثال هذه الروايات المختلفة قال العلامة **الذهبى** وهو راس المحدثين ومرجع الرواية "لم يصح عن الوليد كفر ولا زندقة بل اشتهر بالخمر والتلوط فخرجوا عليه لذلك" (تاريخ الخلفاء للسيوطى ترجمة الوليد)

ثم ان هنالك امرا آخر وهو ان الثائر على **الوليد** وقاتله هو خليفة اموى، فكيف ينسب استهانة الدين الى خلفاء بنى امية عامتهم وان هذا الذى عزا اليه صاحب الاغانى الاستهانة بالقرآن قد ذكر له صاحب العقد ما ينبئ عن تعظيمه للقرآن وتفخيمه شانه وحث الناس على حفظه وتعهده قال صاحب العقد انه شكا رجل من بنى مخزوم دينا لزمه فقال (الوليد) اقضيه عنك ان كنت لذلك مستحقا قال يا امير المومنين كيف لا اكون مستحقا فى منزلتى وقرابتى قال قرأت القرآن قال لا قال فادن منى فدنا منه فنزع العمامة عن راسه بقضيب فى يده فقرعه قرعة وقال لرجل من جلسائه ضم اليك هذا لعلج ولا تفارقه حتى يقرء القرآن فقام اليه آخر فقال يا امير المومنين اقض دينى فقال له اتقرء القرآن قال نعم فاستقراه عشرا من الانفال و عشرا من براءة فقرء فقال نعم نقضى دينك وانت اهل لذلك" فانت ترى ان الوليد يعد من لا يقرء القرآن علجا والمولف يعد الوليد علجا،

فاما ما ذكره المولف من اقوال **الحجاج** و**خالد القسرى** انهما كانا

له الجزء الثانى صفحة ٢٣

یفضلان الخلافة علی النبوة فمع ان اکثر هذه الاقوال مأخوذ من العقد الفرید
وهو من کتب المحاضرات لسنا نحتاج الی الذب عن الحجاج وخالد فانهما من
اشرار الامة حقًا ولکن کم لنا من امثال هؤلاء الملاحدة فی الدولة العباسیة
کالجاردة وابن الراوندی الذی عمل کتابا رد فیه علی القرآن وسماه بالدامغ فاذا
کان العباسیة غیر مسئولین عن اوزار هؤلاء عند المؤلف فکذلک بنو امیة
وان کان عبد الملک والولید یرتضیان بسوء اعمال الحجاج فمعلوم ان غیرهما
من بنی امیة کانوا ناقمین علیه کافة حتی ان هشاما قال "هل الحجاج استقر فی
جهنم او یهوی الی الان" ولما وصل هشام ان خالد القسری استخف بامرة
المدینة عزله عن الامارة وسجنه کما ذکره ابن خلکان،

والحاصل ان المؤلف ان خص رجلا او رجلین من بنی امیة بالطعن لا نعترف به
ولکن من سوء مکیدة المؤلف انه یجعل الفرد جماعة والفذ نوعا والنادر عاما،
والشاذ مطردا۔

جور بنی امیة سمنا بظالم بغت نصر واحطنا علما بشنایع چنگیز خان واطلعنا
علی ما جنته ایدی التتر فوالله (لو صدق المولف) هؤلاء کانوا اشد قسوة
ولا افظع اعمالا ولا اسفک دماء ولا اجمع لانواع الفتک من بنی امیة،

قال المولف "حتی فی ایام معاویة فانه ارسل بسر بن ارطاة ×
وارسل معه جیشا ویقال انه (ای معاویة) اوصاهم ان یسیروا

فى الارض ويقتلوا كل من وجدوه من شيعة علىٍّ ولا يكفوا ايديهم عن النساء والصبيان (الجزء الرابع صفحة ٨٢)

قبل ان اكشف عن جلية الامر لابدّ من تقديم مقدمة، وهى ان المؤلف مدح بنى العباس وجعل اعمالهم مناطا للعدل ودلالة على الرفق فقال،

ولا غرابة فيما تقدم من عمران البلاد فى ظل الدولة العباسية فان العدالة توطد دعايم الامن واذا امن الناس على ارواحهم وحقوقهم تفرغوا للعمل فتعمر البلاد ويرقه اهلها ويكثر خراجها (الجزء الثانى صفحة ٨١)

وعلى هذا فاذا وجدنا بنى امية معادلين لبنى العباس فى جميع اعمالهم سواءً بسواءٍ كان اختصاصهم بالذم دون بنى العباس جورًا فاحشا وميلًا عظيما، ثم ان هناك امرا اخر وهو ان المورخين باسرهم كانوا فى عصر بنى العباس ومن المعلوم انه لم يكن يستطيع احد ان يذكر محاسن بنى امية فى دولة العباسيين فاذا صدر من احدٍ شئٌ من ذلك فلتة كان يقاسى قائلها انواعا من الهتك والايذاء ووخامة العاقبة وكم لنا من امثال هذه فى اسفار التاريخ، ومع اننا نفخر بان مورخى الاسلام كانوا اصدق الناس رواية واجرءهم على اظهار الحق ما كان يمنعهم عن بيان الحقيقة سلطة ملكٍ ولا مهابة جائر ولكن مع ذلك فرق بين تعمد الكذب والسكوت عن الحق ولذلك نعتقد انهم ما قالوا شيئًا افتراءً على بنى امية ولكن ان قلنا انهم كثيرا ما سكتوا عن محاسنهم فذلك شئ لا يد فعه وليس فيه غضّ منهم۔

اما بنو العباس فكانوا في عصرهم ولاة البلاد وملاك رقاب الناس - رضاهم الحيوة وسخطهم الموت، فالوقيعة فيهم والاخذ عليهم ما كان يمكن الا بعد مخاطرة النفس والاقتحام في الهلاك ونصب النفس للموت،

رجعنا الى قول المولف ان معاوية امر بقتل النساء والصبيان، اعلم ان هذه الواقعة اي ارسال بسر ابن ارطاة الى شيعة علي من اشهر الوقايع المذكورة في سايركتب التواريخ وليس في احد منها قتل النساء والصبيان بل فيها ما يخالف هذه الرواية قال المورخ اليعقوبي ووجه معاوية بسر بن ارطاة وقيل بن ارطاة العامري من بني عامر بن لوي في ثلثة الاف رجل فقال له سر حتى تمر بالمدينة فاطرد اهلها واخف من مررت بها وانهب مال من اصبت له الا من لم يكن دخل في طاعتنا واوهم اهل المدينة انك تريد انفسهم وانه لا براءة لهم عندك * * حتى تدخل مكة ولا تعرض فيها لاحد وارهب الناس فيما بين مكة والمدينة * * ثم امض حتى تاتي صنعاء فان لنا بها شيعة وقد جاءني كتابهم فخرج بسر فجعل لا يمر بحي من احياء العرب الا فعل ما امره معاوية (اليعقوبي طبع اوربا صفحة ٢٣١ من الجزء الثاني)

فترى في هذه العبارة انه لم يكن هناك الا تخويف وتهديد وايهام لما راى المؤلف ان المصادر التاريخية الموثوقة بها لا توجد فيها ما يوافق هواه جنح الى الاغاني ونقل امر معاوية بقتل النساء والصبيان ثم اعتذر عن معاوية بان المظنون

خلاف ذلك لحلمه ودهائه والظن ان معاوية اطلق يد بسر ولم يعيّن لحدودًا وكان بسر سفاكًا للدماء فلم يستثنِ طفلا ولا شيخا"

قد قلنا ان الاغانى من كتب المحاضرات فاذا كان الامر هينا وكان الحديث فكاهةً او تسلّلا من كدّ العمل الى استراحةٍ فلا باس به وبامثاله اما اذا كان الامر ذا بال وكان الواقعة معترك الاختلاف ومتعفر الاهواء رافعا لشانٍ او هادمًا لاساسٍ فامثال هذه الكتب لا يوذن لها ولا يُلتفت اليها مطلقا،

ثم ان الرجل (اى صاحب الاغانى) شيعيٌّ اذا جاءه شئٌ مما يشين معاوية ويُدنّسه وجد من نفسه ارتياحًا الى قبوله ولو كان من اوهن الاحاديث واكذبها،

نعم ان بسر بن ارطاة قتل طفلين ولكن القتل لم يتجاوز الاثنين فاين هذا من قول المولف،

"وكان بسر سفاكا للدماء فلم يستثن طفلا ولا شيخا"

قال المولف" فاذا كان هذا حال العمال فى ايام معاوية مع حلمه وطول اناته فكيف فى ايام عبد الملك مع شدّته وفتكه فهل يستغرب ما يقال عن فتك الحجاج وكثرة من قتلهم صبرًا ولو كانوا ١٢٠٠٠٠

(الجزء الرابع صفحة ٨٣)

نعم قتل الحجاج مائة الف او مائتين ولكن اين هذا من صنيعة ابى مسلم

الخراسانی القایم بدعوة بنی العباس الموسس لدولتهم فانه قتل صبرا بدون حرب ما یبلغ عدده ستمایة الف وقد اعترف به المولف فی هذا التالیف نفسه (الجزء الرابع صفحة ۱۱۲) والمولف یحتال لذلك عذرا ویحسبه من طبیعة السیاسة فالحجاج احق بالعذر واجدر بالعفو فان الحجاج عربٌ قحٌّ طبعه الجفاء والقسوة اما ابو مسلم فعجمیٌّ ترتّب فی حجر التمدن وغذی بلبان الظرف ودماثة الاخلاق،

اما قوله "عبد الملك کان اشد وطاة منه" (ای من الحجاج) فلم یات علیه بشاهد غیر غدره بعمرو بن سعید واین هذا من غدر المنصور العباسی بابی مسلم الذی هو ربُّ الدولة العباسیة ولولاه لما قامت للعبّاسیّین قایمة ولا کان لهم ذکرٌ وکذلك غدر المنصور بابن هبیرة،

وغایة ما یقضی منه العجب ان المولف بعد ما ذکر فتك بنی امیة بقوله "وقد نفعتهم هذه السیاسة (ای سیاسة الفتك) فی تائید سلطانهم ثم قال "صارت سُنةً فی من ملك بعدهم من بنی العباس وغیرهم" وانت تعلم ان المولف یبرّیءُ ساحة العباسیة من الجور والظلم فضلاً عن الفتك فهل هذا تناقضٌ فی القول او اراد بهم نفعا فضرّهم من حیث لا یعلم لا والله لا هذا ولا ذاك بل هی من مکاید المولف التی لا یهتدی الیه الا فطِنٌ خبیر بطویة الرجل وکامن ضغنه،

جور العمال ذکر المولف تحت هذا العنوان انواعًا من الجور والشدّة الصادرة من عمال بنی امیة ونحن نذکر بعضا منها مع کشف الحقیقة،

قال یذکر جور العمال "واذا اتی احدهم بالدراهم لیودیها فی خراجه یقتطع الجابی، منها طایفةً ویقول هذا رواجها وصرفها" (الجزء الثانی صفحة ۲۲ واستند فی الهامش بکتاب الخراج لابی یوسف صفحة ۶۲)

ایها الفاضل المولف! الیس لک وازع من نفسک، الیس لک رادع من دیانتک۔ اتجترئ علی مثل هذا الکذب الظاهر والمین الفاحش جهرة فان القاضی ابا یوسف ما تکلم فی شان عمال بنی امیة ببنت شفة وانما ذکر عن عمال هرون الرشید واساءتهم العمل فی جبایة الخراج وکتاب الخراج لابی یوسف بین ایدینا وقد طبع فی مصر وتداولته الایدی وتناقلته الالسن،

قال المولف،

"وفی کلام القاضی ابی یوسف فی عرض وصیته للرشید ببیان عمال الخراج ما یبین الطرق التی کان اولیک الصغار یجمعون الاموال بما قال "یلغتی انه قد یکون فی حاشیة العامل والوالی جماعة منهم لربه حرمةٌ ومنهم من له الیه وسیلة لیسوا بابرارٍ ولا صالحین یستعین بهم ویوجههم فی عمله یقتضی بذلک الذمامات فلیس یحفظون ما یوکلون بحفظه ولا ینفقون من یعاملونه انما مذهبهم اخذ شیء من الخراج کان او من اموال الرعیة ویقیمون اهل الخراج فی الشمس ویضربونهم الضرب الشدید ویعلقون علیهم الجرار ویقیدونهم عما یمنعهم من الصلوة وهذا عظیمٌ

عند الله شنیع فی الاسلام (الجزء الثانی صفحة ۲۳ و ۲۴ مستندًا
الی کتاب الخراج صفحه ۶۱ و ۶۲)

الله اکبر! اهل سمع احدٌ باعظم من هذا التدلیس والتلبیس یشتکی القاضی
ابو یوسف من عمال **هرون الرشید** ویرفع القضیة الیه ویبین ما بلغه
مما یرتکب عماله فی اخذ الاموال من الرعایا، فیاخذ المولف اقواله وینقلها من حیث
انها هی الطرق التی کان عمال بنی امیة یجمعون الاموال بها، ها هو کتاب الخراج
بایدینا قرءناه وقلبناه ظهرًا عن بطنٍ وکررنا فیه النظر لا کرّة او کرّتین بل مرّات
متوالیة متتابعةٍ فما وجدنا فیه کلمة فی شان عمال بنی امیة وانما قال ما قال
ابو یوسف یعظ الرشید بما بلغه عن عماله الی ان خاطبه بقوله،

فلو تقربت الی الله عزوجل یا امیر المومنین ابا الجلوس لمظالم رعیتک
فی الشهر او الشهرین مجلسا واحدا تسمع فیه من المظلوم وتنکر علی الظالم
رجوتُ ان لا تکون ممن احتجب عن حوائج رعیته ولعلک لا تجلس الا مجلسا
او مجلسین حتی یسیر ذلک فی الامصار والمدن فیخاف الظالم وقوفک
علی ظلمه فلا یجترئ علی الظلم * * مع انه متی علم العمال والولاة
انک تجلس للنظر فی امور الناس یوما فی السنة لیس یوما فی الشهر
تناهوا باذن الله عن الظلم وانصفوا من انفسهم (کتاب الخراج
صفحة ۶۳ و ۶۴)

لافضّ فوك يا ابا يوسف ! فقد صدعت بالحق وامرت بالمعروف
واجترءت على النهي عن المنكر واخذت على ملكٍ جبارٍ كهرون الرشيد صاحب
النكبة بالبرامكة والكبر جرأتك ايها الفاضل (جرجي زيدان) تتبعت سيرة
عمال بني امية وبالغت في الامعان وكابدت في ذلك محنة التقصي فاعوزك
كل هذا وما وجدت في اعمالهم شيئاً من مثل تلك الفظايع فعمدت الى سيرة عمال
الرشيد واوهمت الناظرين انها سيرة عمال بني امية،

قال المولف وكان العمال لا يرون حرجاً في ابتزاز الاموال من اهل البلاد
التي فتحوها عنوة لاعتقادهم انها فيءٌ لهم كما تقدم (الجزء الرابع صفحة ٥٠)
الذي اشار اليه بقوله "تقدم" هو قوله في الجزء الثاني وهذا نصه
"وكان من جملة نتايج تعصب بني امية للعرب واحتقارهم سايرالامم
انهم اعتبروا اهل البلاد التي فتحوها وما يملكون رقاً حلالاً لهم يدل على
ذلك قول سعيد بن العاص عامل العراق ما السواد الا بستان قريش
ما شيئاً اخذناه منه وما شيئاً تركناه وقول عمرو بن العاص لصاحب اخنا
لما سأله عن مقدار ما عليهم من الجزية فقال عمرو انما انتم خزانة لنا
ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم (الجزء الثاني صفحة ١٩)

تثبت المؤلف بهذه الاقوال في غير موضع مستدلاً على ان العرب
وبني امية كانوا يتصرفون على اموال الناس كيفما شاؤا ظناً منهم ان اموالهم

واعراضهم أبيحت لهم مطلقا۔

حقيقة القول انه لما فتحت البلاد فى خلافة **الفاروق** تقدم بعض الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وبلال وغيرهما وقالوا ان الارض مقسومه بيننا كما قسم رسول الله خيبر وكان الفاروق رأى غير هذا فقام النزاع حتى وُفِّقَ الى الاستناد بنصّ القرآن فسكتوا ورضوا والقصّة مذكورة بتفاصيلها فى كتاب الخراج للقاضى ابى يوسف ثم ان بعض البلاد فُتحت صلحًا فمتى كان الخراج او الجزية شيئًا مُسمًّى معيّنًا ما كانوا يزادون الزيادة عليه وان كثرت الارض خيراتها وزادت غلاتها وفتح بعضها عنوة فكان الخراج او الجزية عليها بقدر النقص والزيادة وهذا هو قول عمر "ان كثر علينا كثرنا عليكم وان خفف عنا خففنا عنكم" وقد اشار الى ذلك المقريزى فى تاريخه والعلامة السيوطى فى حسن المحاضرة فاما قول سعيد بن العاص الذى استند به المولّف فتحريف الكلام عن موضعه على جارى عادته فان المولف نقل هذه الرواية من الاغانى والمذكور فيه ما حاصله "ان احدا مدح السواد عند سعيد بن العاص وبالغ فيه فقال بعضهم نعم وياليته كان لاميرنا فقال بعض من حضر لا تعط ارضنا للامير فقال الرجل ولو شاء الامير لاخذه فانكروا قوله فقال سعيد بن العاص "السواد بستان قريش الخ" فقال الرجل لا انه من منايح رماحنا" فانت ترى ان النزاع بين الجند وامير البلد هنا هو النزاع الذى كان بين بعض الصحابة وعمر الفاروق وَاىُّ متشبث فى ذلك للمؤلف

فان سعيد بن العاص قال ما قال ردًّا على الجند بدعوى ان الارض لا تقسم بين فاتحي البلاد بل هي تحت يد الخليفة او من ينوب عنه وانما ذكر سعيد قريشا لان الخلافة على زعمهم للقريش خاصة،

قال المولف،

فكان الخلفاء يكتبون الى عمالهم بجمع الاموال وحشدها والعمال لا يبالون كيف يجمعونها فقد كتب معاوية الى زياد، اصطف لي الصفراء والبيضاء فكتب زياد الى عماله بذلك واوصاهم ان يوافوه بالمال ولا يقسموا بين المسلمين ذهبا ولا فضة، (الجزء الرابع صفحته ٤ واحال الرواية في الهامش على العقد الفريد صفحة ٨ من الجلد الاول)

ننقل ما اخذ هذه الرواية كما صرح به المولف في الهامش لترى خيانات المولف واحدة بعد واحدة، قال صاحب العقد،

"ونظير هذا القول ما رواه الاعمش عن الشعبي ان زيادا كتب الى الحكم بن عمرو الغفاري وكان على طليعة ان امير المومنين كتب الي ان اصطفي له الصفراء والبيضاء فلا تقسم بين الناس ذهبا ولا فضة فكتب اليه ان وجدت كتاب الله قبل كتاب امير المومنين ثم نادى في الناس فقسم لهم ما اجتمع من الفيء" (العقد الفريد المجلد الاول صفحة ١٨)

فانظر اوّلا، انّه ليس فى هذه الرواية انّ معاوية كتب الى زياد بل ان زيادا كتب الى الحكم انّ امير المومنين كتب الىّ، ولعل زيادا كذب فى ذلك او فهم غير ما اراد معاوية بقوله،

ثانيًا، انّ المولّف حذف كل ما قال الشعبى وما عمل به من تقسيم الفئ، لدلالته على ان فى عمّال بنى امية من لا يمنعه عن الصدع بالحق واداء الواجب احدٌ - لا ولاة الامصار ولا من فوقهم اى الخليفة نفسه،

ثالثًا، انّه ليس فى هذه العبارة ما يستدل به على استيثار معاوية المال لنفسه فان مراده ان العمّال ليس لهم تقسيم الفئ، بل الامر موكولٌ الى الخليفة فعلى العامل ان يجمع الاموال ويرسلها الى الخليفة وللخليفة ان يضعها موضعها، قال المولف،

"فكان العمال يبتدرون الجهد فى جمع الاموال بأيّة وسيلة كانت و مصادرها الجزية والخراج والزكاة والصدقة والعشور واهمها فى اوّل الاسلام الجزيّة وكثرة اهل الذمّة فكان عمال بنى امية يشتدّون فى تحصيلها فاخذ اهل الذمة يدخلون فى الاسلام فلم يكن ذلك ليجيبهم منها لان العمال عدّوا اسلامهم الفرار من الجزية وليس رغبة فى الاسلام فطالبوهم بالجزية بعد اسلامهم واول من فعل ذلك الحجاج بن يوسف واقتدى به غيره من عمال بنى امية فى افريقية وخراسان وما وراء النهر فارتدّ الناس عن الاسلام

وهم يودّون البقاء فيه وخصوصًا اهل خراسان وماوراء النهر فانهم توطنوا
الى اواخر بنى امية لايمنعهم عن الاسلام الا ظلم العمال بطلب الجزية منهم
بعد اسلامهم" (الجزء الرابع صفحة ٧٠)

ذكر المولّف هذه الواقعة اى اخذ الجزية بعد الاسلام فى غير موضع بعبارات
متنوعة قوية الاخذ بالنفس شديدة الوطاة على القلب يترائى للناظر فيها ان
الناس احيطوا من كل جانب جورًا وعدوانًا فاذا بقوا على الكفر يعانون من
الشدة ما يلجيهم الى الاسلام واذا اسلموا فالجزية باقية على حالها لا يخفف
عنهم العذاب ولا هم ينصرون،

اعلم ان الجزية ليست الا بدلًا عسكريًا فمن يذبّ عن بيضة الملك
بنفسه فهو غير مأخوذ بها اما من ضنّ بالنفس ولا يصلح لذلك فعليه ان يؤدى
شيئًا من المال ليكون عدّة للعسكر وعونًا له واوّل من سنّ الجزية وجعل لها
وضايع كسرى نوشروان كما ذكره ابن الاثير وصرّح بانها هى الوضايع التى قدّرها
عمر بن الخطاب، وكم تجد فى البلاذرى والطبرى وغيرهما ان اقوامًا من النصارى
فى عصر عمر بن الخطاب لما قاموا بالدفاع عن الملك او دخلوا فى الجند سقطت
عنهم الجزية واعفى عمر بن الخطاب نصارى تغلب عن الجزية واضعف عليها
الصدقة وجملة القول ان الجزية لم يكن فى الاصل شيء يحدّ بين الكفر والاسلام
ولكن لما كان غالب الحال ان اهل البلاد من النصارى والمجوس واليهود

كانوا اصحاب حرث وزرع وعمالٍ فى الديوان وكانوا لا يرضون بمخاطرة النفس واقتحام الحرب ولذلك كانوا مطالبين بالجزية والمسلم لا يمكن له الاعتزال عن الحرب فانه مضطر الى الذب عن بلاد الاسلام طايعا او مكرها، صارت الجزية كانها حدٌّ فاصل بين الرئيس والمرءوس ثم بين المسلم وغير المسلم،

٢- ولما لم ينفصل الامر بتةً وبقى للاجتهاد موضع ومُتَّسع كان بعض العمال يضرب الجزية على حديثى العهد بالاسلام،

٣- ولكن مع هذا لم تتفق ذلك فى مدى الخلافة الاموية الا مران معدودات يشهد بذلك الفحص والتقصى وامرار النظر والكدّ فى البحث والتنقيب ومع ذلك فكلما وقع مثل هذا لم يكن له بقاء فامّا ان يكون الامة هى التى تقيم النكير على العامل او يصل الخبر الى الخليفة فيرد عمله ويمنعه عن الوقوع فى مثله اتيا ففى سنة لما كتب الحجاج الى البصرة بِرَدّ من اسلم من اهل القرى الى مساكنهم وضرب الجزية عليهم ضجّ القرّاء وخرجوا يبكون مع البُكاة من اهل القرى وبايعوا عبد الرحمن بن الاشعث مشمّرين من عمل الحجاج منكرين عليه كما هو مشروح فى تاريخ الكامل لابن الاثير وكذلك لما اقتدى الجراح الحكمى بصنيع الحجاج كتب اليه عمر بن عبد العزيز يامره باسقاط الجزية والواقعة مذكورة فى حوادث سنة فى تاريخ الكامل وكذلك لما فعل يزيد بن ابى مسلم فى افريقية سنة ٠٢ ام اكبّ الناس عليه وقتلوه وكتبوا الى الخليفة يزيد بن عبد الملك فكتب اليهم انى ما كنت مستعينا

عمل يزيد والقصة مذكورة في الكامل تحت حوادث سنة ١٠٢ وكان آخر ما وقع مثل ذلك ما فعل اشرس في خراسان فاورث ثورة واشتراك العرب مع الثائرين ونصروهم اما خلفاء بني امية فلم يثبت من احد منهم مثل ذلك وانما كان اراد عبد الملك وضع الجزية على من اسلم من اهل الذمة فكلمه ابن حجرة فتركه والقصة مذكورة في المقريزي بنوع من التفصيل (انظر صفحة ٨٠ من الجزء الاول) والآن نقص عليك بعض خيانات المؤلف،

(١) ذكر وقعة الحجاج وترك نكير القراء عليه وبيعتهم على يد ابن الاشعث انكارًا على صنيع الحجاج،

(٢) ذكر وقعة الجراح (الجزء الثاني صفحة ٢٠) وترك انكار عمر بن عبد العزيز عليه ومنعه عن ضرب الجزية عليهم،

(٣) ذكر واقعة يزيد بن ابي مسلم وترك ان الناس قتلوه وان الخليفة يزيد بن عبد الملك استصوب صنيعهم اي قتلهم يزيد بن ابي مسلم،

(٤) ذكر واقعة اشرس ولم يذكر ان العرب قاموا عليه وكانوا مع الثائرين عليه

ولما ثبت ان ضرب الجزية على حديثي العهد بالاسلام لم يامر به احد من خلفاء بني امية وانما كان اجتهادًا من بعض العمال بناءً على ان اسقاط الجزية يورث نقصًا في الخراج وان الخلفاء كلما عثروا على ذلك منعوا العمال عن ضرب الجزية ورجعوا عملهم وانه كلما وقع مثل ذلك تألب العلماء والخيار من الناس

واقاموا النكير على ضاربي الجزية حتى قتلوا بعض العمال فاستحسن الخليفة قتله فهل المولف ان يحمل وزار بعض العمال على بني امية كافة وهل يصح قوله،

"ولم يكن عمال بني امية يأتون هذه الاعمال من عند انفسهم دايما بل كثيرا ما كانوا يفعلونه بامر خلفائهم كما قد رايت مما كتبه معاوية الى وردان" (الجزء الثاني صفحة ٢٢)

اما كتاب معاوية الى وردان فقد مر ذكره وليس فيه للمولف موضع حجة،

قال المولف

انه لما راى اهل الذمة ان الاسلام لا ينجيهم من ذلك فعمد بعضهم الى التلبس بثوب الرهبنة لان الرهبان لا جزية عليهم فادرك العمال غرضهم من ذلك فوضعوا الجزية على الرهبان واول من فعل ذلك منهم عبد العزيز بن مروان عامل مصر فامر باحضار الرهبان وفرض على كل راهب دينارا" (الجزء الثاني صفحة ٣٠ مستندا الى المقريزي صفحة ٢٩٢ من الجزء الثاني).

ايها الفاضل المؤلف اما هذا لاجتراء اما هذا الاختلاق اما هذا الكذب الظاهر؟

هاك نص المقريزي "ثم قدم اليعاقبة في سنة احدى وثمانين الاسكندرية فقام اربعا وعشرين سنة ونصفا وقيل خمسا وعشرين سنة ومات سنة ست ومائة ومرت به شدايد صودر فيها مرتين اخذ منه فيهما ستة

الان دينار وفى ايامه امر عبد العزيز بن مروان فامر باحصاء الرهبان فاحصوا واخذت منهم الجزية على كل حالم دينار وهى اول جزية اخذت من الرهبان، (الجزء الثانى من المقريزى صفحه ٤٩٢)

فهل تجد فى هذه العبارة ادنى اشارة الى ان عبد العزيز او احد غيره شدد فى الجزية فاختار والرهبنة طلبا للنجاة من الجزية فما نفعهم وانما فيها ان عبد العزيز بن مروان وضع الجزية على الرهبان وهذا ليس فيه كبير شئ فان الرهبان وان كانوا معافون عن الجزية ولكن لما لم يكن الامر منصوصا لا فى الكتاب ولا فى السنة كان للاجتهاد فيه مساغ فاجتهد عبد العزيز واخطاء،

الله هذا البحث لو سرد نا كل ما قال المولف عن جور بنى امية وعمالهم واستيثارهم الاموال واسرافهم فى استلابها وبينا ما فى كل قول من التحريف والتدليس وتغيير المعنى والخيانة فى النقل وصرف العبارة عن وجهها لطال الكلام واحتجنا الى عمل كتاب منفرد بنفسه فلاجل ذلك اقتصرنا على كشف بعض دسايسه مع انه قل من كل وغيض من فيض[1]،

[1] ومما يناسب ذكره فى هذا المقام ان المولف لما انجز الجزء الاول من كتابه ارسله الى فكتبت اليه بعد الاعجاب به انه لابد من ذكر مصادر الروايات فى كل موضع وذلك لاجل ان كنت اخاف عليه التدليس، فاظهر المولف فى مقدمة الجزء الثانى انه عمل بذلك، وبين كراس الكتاب والجزء والصفحة ولكن من الاسف ان كل هذا ما اجدى نفعا فانه ما يذكر المطبعة ولاجل هذا كابدت فى تطبيق مصادر كتابه محنة عظيمة فان النسخ مختلفة ولا يدرى اى نسخة اوادها وبسبب ذلك ما اهتدنا الى اكثر خيانا تها ومن المحقق المستيقن به انه ما نقل عبارة الا وعمل فيها شيئا من التحريف والتغيير ومن كان فى ريب من ذلك فليراجع الاصول ويكابد محنة التطبيق ليقوم بما قلته مع حيرة واندهاش - ١٢

ونقول بعد كل ذلك ان موضوع الكتاب ليس الا بيان تمدن الاسلام
فاى متعلق فى ذلك لابداء مساوى بنى امية ولعلك تقول لابد فى تاريخ
تمدن الاسلام من بيان منهج السياسة وانها هل كانت موسسة على الاستبداد
والجور او العدل والنصفة فجر ذلك الى كشف عوار بنى امية عرضا ولكن
انا اشدك بالله اما كان لاحدٍ منهم ماثرةٌ تُذكر ومنقبة تنقل وسياسة تنفع
البلاد ومعدلةٌ تعم الناس نعم ان بنى امية لا يوزنون بالخلفاء الراشدين ليس
هذا عارًا عليهم ولا فيه حطٌّ لمنزلتهم فان ادراك شأو الراشدين واللحوق بهم
امرٌ خارج عن طوق البشر وليس فيه مَطمعٌ لاحد ولا موضع رجاء لمجتهد ولكن
التوازن والتكايُل بين الاموية والعباسية وانما هم ملوك فيهم المحسن والمسئ والعادل
والجاير والناسك والخليع والحازم والمغفل بل الذى اعدلهم سيرة وامثلهم
طريقة واوفاهم ذمما وارضاهم طورا لا يخلو من عثرات لا تقال وهنات
لا تذكر فلو لزم المولف جادة الانصاف ووفّى لكل احد قسطه واعطى كل ذى حق
حقه لاستراح واسترحنا ولكنه مال الى واحد فاطرى فى مدحه ونال من
الاخر فاسرف فى تهجينه وذمه ثم انه لم يفارق فى مدحه وذمه عمود الكتاب
اى ذم العرب والحط من شانهم فانه ذم بنى امية لانهم العرب بحتة ومدح
العباسيين لانهم العرب او انهم من سلالة هاشم او من اقرباء النبى بل لان
دولتهم دولة عجمية وقد مر نصه فى ذلك سابقا،

وحان لنا ان نذكر طرفا من مآثر بني امية وسيرتهم ومبلغهم من حسن السياسة وتعمير البلاد وتمهيد السبل وتوطيد الامن واقامة المرافق وتعميم المعارف

اعلم ان دولة بني امية عبارة عن معاوية ويزيد وعبد الملك بن مروان والوليد وسليمان وعمر بن عبد العزيز وهشام فاما ما عداهم فلم تطل مدتهم وليس لعبرة بهم ان احسنوا او اساؤا

فاما معاوية فنذكر من سيرته ما ذكره المؤرخ المسعودي في مروجه مع نوع من الاختصار قال

كان من اخلاق المعاوية انه كان ياذن في اليوم والليلة خمس مرات

كان اذا صلى الفجر جلس للقصاص حتى يفرغ من قصصه xxx فيخرج الى المسجد فيسند ظهره الى المقصورة ويجلس على الكرسي ويقوم الاحداث فيتقدم اليه الضعيف والاعرابي والصبي والمراة ومن لا احمد له فيقول ظلمت فيقول اعزوه ويقول عداي الى فيقول بعثوا معه ويقول صنع بي فيقول انظروه في امره حتى اذا لم يبق احد دخل فجلس على السرير ثم يقول ايذنوا للناس على قدر منازلهم فاذا استووا جلوسا قال يا هؤلاء انما سميتم اشرافا لانكم شرفتم من دونكم بمجالسكم ارفعوا الينا حوايج من لا يصل الينا فيقوم الرجل فيقول شهد فلان فيقول افرضوا له ويحتوك

اخر غاب فلانٌ عن اهله فيقول تعاهدوهم واقضوا حوائجهم، ثم يوتى بالغداء، والكاتب يقرء كتابه فيامر فيه، حتى ياتى على اصحاب الحوايج كلهم وربما قدم اليه من اصحاب الحوايج اربعون او نحوهم على قدر الغداء،

واطال **المسعودى** فى بيان اعمال معاوية يوميا ثم قال بعد حكاية معترضة "فلنرجع الان الى اخبار معاوية وسياسته وما اوسع الناس من اخلاقه وما افاض عليهم من بره وعطائه وشملهم من احسانه مما اجتذب به القلوب واستدعى به النفوس حتى اثروه على الاهل والقرابات" ثم ذكر بعد ذلك عدة وقايع تركناها هربا عن الاطناب،

فاما عبد الملك فقال المدايني كان يقال معاوية احلم وعبد الملك احزم وهو الذى جعل على بيوت الاموال والخزائن رجاء بن الحيوة ذلك المحدث المشهور وعلى كتابة الخراج والجند سرجون بن منصور الرومى (وهو نصرانى) وحوّل الدواوين من الرومية والفارسية الى العربية وزاد على ما كان فرض معاوية للموالى خمسة فبلغها عشرين ودخل فى بيعته عبد الله بن عمر ومحمّد بن حنفيّة "ذكر كل ذلك صاحب العقد فى ترجمته وقد سبق من نسكه وعبادته ما فيه كفاءة فيما مرّ،

ومما ينقم عليه تاميره الحجاج ولكنّ الدولة تحتاج فى بنائها واوّل نشاءتها

الى مثال ذلك وهذا ابو مسلم الخراساني مؤسس الدولة العباسية قتل ستماية الف رجل صبرًا وهذا ابو جعفر المنصور فعل بالهاشميين ما لم يسبق له نظير في الاسلام ومع ذلك فانى اعوذ بالله ان اتوم ذابًا عن الحجاج ومدافعًا عنه"

اما الوليد فكان اهل الشام يفتخرون به وحق لهم ذلك قال صاحب العقد الفريد "كان الوليد عند اهل الشام افضل خلفايهم واكثرهم فتوحا، ولعظمهم نفقة في سبيل الله بنى مسجد دمشق ومسجد المدينة ووضع المنابر واعطى المجذومين حتى اغناهم عن سوال الناس واعطى كل مُقعد خادما وكل ضرير قايدًا وكان يمر بالبقال فيتناول قبضة فيقول بكم هذه فيقول بفلس فيقول زد فيها فانك تربح" وهو الذى وسّع مسجد النبى وذهّب البيت قال اليعقوبى ان الوليد بعث الى ملك الروم يعلمه انه قد هدم مسجد رسول الله فليعنه فيه فبعث اليه بماية الف مثقال ذهبا ومايه فاعل واربعين حملا فيفساء * * وبعث الوليد الى خالد بن عبد الله القسرى وهو على مكة بثلثين الف دينار فضربت صفايح وجعلت على باب الكعبة * * فكان اول من ذهّب البيت فى الاسلام وحج الوليد سنة ٩١ لينظر الى البيت والى المسجد وما اصلح منه والى البيت وتذهيبه"

وقال اليعقوبى كان اوّل من عمل البيمارستان للمرضى ودار الضيافة واول من اجرى على العميان والمساكين والمجذومين الارزاق،

وقال السيوطى فى تاريخه للخلفاء "وكان مع ذلك (اى كونه جبارًا ظلومًا)

يختن الايتام ويرتب لهم المؤدبين

ثم انّ الدّول تعرف اقدارها باثارها وتقضى بفضلها بعملها واخلد الاثار
الّتى تتفاضل بها مقادير الملوك وتتطاول بها رُتب الدّول كثرة الفتوح واستتباب
امور الملك والرعية وتوطد دعايم العدل وانتشار العلم ودولة بنى امية قد اخذت
من كل ذلك قسطا وضرب فى كل ذلك بسهم

اما كثرة الفتوح فقد بلغت دولتهم منها غاية ليس وراءها مُطلَعٌ لطامح
انقضت ايام الخلافة الراشدة والاسلام يزخر عبابه فى جزيرة العرب وديار الشام و
مصر وبلاد الفرس فلما تتمّت بنو امية عرش الخلافة ازداد الاسلام فتوحا واتسعت
ممالكه وغلب سلطانه وامتدّت سطوته ودخلت البلاد النائية المترامية الاكناف
فى حوزة حكمه فملكوا ما لم يملكه احدٌ من ملوك الاسلام قبلهم ولا بعدهم فتحوا
اطرابلس وطبنة وساير بلاد المغرب والاندلس وبلاد الديلم والاتراك والمغول
والسند وقبرص واقريطش وردس وغيرها من جزاير البحر وغزوا صقلية وصالحوا
النوبة وتوغّلوا فى بلاد الروم حتى بلغوا سور القسطنطنية وضربوا السيف على ابوابها
وافتتح السند محمد الثقفى احد ابناء قوّادهم وهو ابن سبع عشرة سنة وقد وطئت
جيوشهم ثغور الصين وثغور بلاد الافرنج وعاصمة بلاد الروم وحدود بلاد الهند
وملكوا من السند الى ثغور بلاد الافرنج طولا ومن البحر الاحمر الى بلاد الخزر عرضا
ودخل فى حوزة ملكهم العرب وديار الشام والعراق والجزيرة ومصر والبجة وبرقة

وتونس ومراكش وطرابلس والاندلس وارمينية وخراسان وفارس وتوران والديلم وبلاد الران وطبرستان وجرجان وسجستان وخوارزم وما وراء النهر وبلاد الخزر وافغانستان والسند وبعض بلاد الهند فمن يدانيهم من الملوك في سعة الملك ومن يباريهم في كثرة الفتوح،

استتباب امور الملك والرعية ليس في سعة الملك كبير فضل اذا لم يكن هناك تأنق في امور المملكة ونظر في امور الرعية وقيام بمصالح العباد وتثمير في عمارة البلاد ولذلك الذين فتحوا البلاد ولم ينظروا في امور اهلها ليسوا عند ذوي الخبرة من اهل التاريخ اسمى منزلة واعلى مكانة من قطاع الطريق الذين يعيثون في الارض مفسدين اما ملوك بني امية فقد جمعوا بين بيعة الملك والنظر في امور العباد وكثرة الفتوح وعمارة البلاد حفروا الانهار وعمروا الطرق وشادوا المصانع وابتنوا المساجد وبذلوا الاموال وقضوا الحوائج وكشفوا المظالم واغمروا المجذومين والعميان والمقعدين في الصعاليك بالجزيل من الاحسان واجروا لهم الارزاق ثم رتبوا المصالح ودونوا الدواوين وحصنوا الحصون وبنوا المدن والقصور،

فقد مر من ذلك شيء كثير فيما تقدم من سيرهم واعمالهم واليك هذه العجالة التي هي كالطل من الوبل اما المصانع فانه حصن هشام المثقب على يد حسان بن ماهون الانطاكي وحفر له خندقا وبنى حصن قطرغاش وحصن مورة وحصن بوقا من عمل انطاكية وبنى سعيد بن عبد الملك سور الموصل وهو الذي

هدمه الرشيد وفرش الموصل بالحجارة ابن تليد صاحب شرطة المروانيين وسار العباس بن الوليد الى مرعش فعمرها وحصنها ونقل الناس اليها وبنى لها مسجدا جامعا واسكن مسلمة بن عبد الملك مدينة الباب اربعة وعشرين الفا من اهل الشام على العطاء وبنى هريا (مخزنا) للطعام وهريا للشعير وخزانة للسلاح و امر بكبر الصهريج ورمم المدينة وشرفها واحدث الحجاج احداما راءهم فى سنة ٨٣ مدينة واسط بين الكوفة والبصرة وبنى مسجدها وقصرها والقبة الخضراء بها واحدث سليمان بن عبد الملك فى ولايته مدينة الرملة ومصّرها وبنى فيها القصور ومسجدا وحفر الابار والقنى والصهاريج وبنى احد قوادهم عقبة بن نافع الفهرى بافريقية قيروانها واحد ثوا غيرها من المدن والحصون والارباض فى الاندلس وحدود بلاد الروم والسند،

ثم امّنوا الطُّرق وعمّروا السُّبل فكان موضع **قيروان** غيضةً ذات طرفاء وشجر لا يُرام من السّباع والحيات والعقارب القتّالة فاحدثوا فيه تلك المدينة الزهراء فاصبحت طرق افريقية امنةً مستانسة بعد ما كانت مستوحشة ذات مخاوف ومهالك وكانت الطريق فيما بين انطاكية والمصيصة مسبعة يعترض للناس فيها الاسد فوجّه الوليد اليها اربعة الف جاموسة وجاموس فنفع الله بها واذكر ما كتب ابن الاثير فى حوادث سنة ٨٨ "ان الوليد كتب الى البلدان جميعها باصلاح الطرق وعمل الابار" وكان الموضع الذى فيه

نهر سعيد بن عبد الملك غيضة ذات سباع فاقطعه اياها الوليد فحفر وعمر ماهناك ولما بغى سيل الجراف بمكة فى سنة ٨٠ فى زمن عبد الملك امر عامله بعمل ضفايير الدور الشارعة على الوادى وضفايير المسجد وعمل الردم على فواه السكك وحفر عدى عامل البصرة من قبل عمر بن عبد العزيز بامره نهر عدى

ومن الاخبار التى تدل على شدة حبهم للرعية وكثرة بذلهم فى راحة خلقها واماطة اذاها انه شكا اهل البصرة الى عامل يزيد على العراق ملوحة مائهم فكتب بذلك الى يزيد فكتب اليه ان بلغت نفقة هذا النهر خراج العراق فانفقه عليه فحفر لهم النهر الذى يعرف بنهر ابن عمرو حفر عما لهم الجابرون الغاشمون (كما يقول جرجى أفندى زيدان) والمنتسبون اليهم كثيرا من الانهار غير ما ذكر كنهر معقل ونهر دبيس ونهر الاساورة ونهر عمرو ونهر ام حبيب ونهر حرب ونهر يزيدان ونهر سلم ونهر ناقد ونهر خيرتان ونهر مرة نهر مرة ونهر بشار ونهر بزرو ونهر حبيب ونهر ذراع ونهر ابى بكرة وغيره من الانهار وهذه الانهار كلها حفروها بالبصرة فما بال غيرها من البلاد،

اما ما بذلوا من الاموال وافرغوا من الجهد فى بناء المسجد النبوى وتذهيب البيت والمسجد الاموى الذى هو معدود من احدى العجايب

---

[1] راجع لكل ذلك البلاذرى۔

فى كثرة نفقاته وعظمة بناءه ودقة صنعه وبهجة منظره وحسن نظامه فهو اشهر من ان يدل على علم

وبنو اُميّة هم اول من اتخذ دار الضرب فى الاسلام فكسوا به الاسلام رفعة واغنوه عن نقود الروم والفرس ونجوّه عما اوعده الروم بنقش شتم النبى صلى الله عليه وسلم عليها وهم الذين نقلوا الدفاتر والدواوين عن الفارسية والرومية والقبطية الى العربية[51] فزادت العربية انتشارا ونموذا ولم يمض برهة من الدهر حتى اصبحت هذه البلاد عربية النزعة واللسان وهم اوّل من بنى مستشفًى فى الاسلام بنوه بدمشق سنة ثمان وثمانين جعلوا فيه الاطباء وامروا بحبس المجذومين واجروا لهم الارزاق وهم اول من انشاء دار اللعميان وهم اول من عمل دار الضيافة بعد[52] عمر بن الخطاب وهم اول من رتب للايتام وتحنن اليهم ورتب لهم المودبين ليعلموهم[53]،

نشر المعارف والعلم اما العلم فقد نخر بهم بحره وزهر بدره فالقرآن الذى هو عمود الاسلام وراس العلوم وينبوع المعارف ادرك الامة قبل اختلافها فيه عثمان بن عفان وهو اموىٌّ ثم بعد ذلك اختلط العرب بالعجم واحتكّت بهم ففسدت لغتها واسلمت العجم فلم تستطع السلامة من اللحن فكثر التصحيف فى القرآن

---

[51] راجع لكل ذلك فتوح البلدان للبلاذرى،

[52] اليعقوبى ذكر الوليد،

[53] السيوطى ذكر الوليد،

وانتشر بالعراق ففزع الحجاج وهو احد امراء بنی امیة الی کتابه فوضعوا النقط والاعجام[۵۱] فعصموا به کتاب الله ان یتطرق الیه التصحیف والتحریف تطرقهما الی التوراة والانجیل ووالله هذا اعظم مبرّة بُرّیها الاسلام لایسا ویها مبرّة واعظم منّة مُنّ بها علی الدین لایوازیها منة ثم کتب الحجاج المصاحف وفرقها فی الامصار وکان الولید الذی رماه صاحبنا بالاستهانة بالقرآن یحث الناس علی حفظ القرآن وکان یجزل الصلات لحفظته ویضرب الذین لم یحفظوه[۵۲] فکثر حفظته وعظم قدرهم وجلت رتبتهم،

اما التفسیر فقیل ایامهم نبغت اجلة المفسرین من التابعین وفی ایامهم دُوّن التفسیر فی الصحف فاول من وضع فی التفسیر ابن جبیر بامر عبدالملک ثم مجاهد،

اما الحدیث فکانوا یُدرّون علی اهله الصلات ویبعثون الیهم بالهدایا ویجرون لهم الارزاق لینقطعوا الی حفظ الحدیث وروایته ونقله وکانوا یکرمون الفقهاء ویجلّون مقامهم ویراعون جانبهم فقد کان یصیح صائحٌ من بنی مروان فی موسم الحج الا لایفتی الناس الا عطاء بن ابی رباح، اجلالاً لشانه ولکثرة علمه بالمناسک[۵۳] وکان عبدالملک امر الحجاج وهو امیره

---

۵۱ ابن خلکان ذکر الحجاج، وهو میزان الاعتدال للذهبی ذکر عطاء بن دینار،

۵۲ العقد اخبار الولید وابن الاثیر سنة ۸۸،

۵۳ ابن خلکان ذکر عطاء، ۵۴ مقدمة شرح الموطا للزرقانی،

على الموسم ان يقدم ابن عمر فى الحج ويقبض اثره فى المناسك وكان سالم
ابن عبد الله والقاسم بن محمد والشعبى وميمون بن مهران والزهرى و
ايوب بن ابى تميمه وقبيصة بن ذؤيب ورجاء بن الحيوة اعزة عند بنى امية
وكان اكثرهم عمالا لهم وهم ساطين الحديث وايمة الرواية واعلام النقل
وانت تعلم ان احاديث الرسول صلى الله عليه وسلم لولا استودعت بطون
الصحف لضاعت بهلاك العلماء واسراع الموت فيهم فاسئلك بحرمة
التاريخ من امر اهل هذا الشان بتدوينها فى الكتب ليس هو عمر بن عبد العزيز
الاموى فجاء فى الاثار ان عمر بن عبد العزيز كتب الى الافاق انظروا حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجمعوه وكتب الى ابى بكر بن حزم راس
المحدثين ان انظر ما كان من سنة او حديث فاكتبه لى فانى خفت دروس العلم
وذهاب العلماء وقد كتب ابن حزم كتبا فى الحديث فمتوفى عمر ثم وضع الكتب فيه
ربيع بن صبيح وكان عمر بن عبد العزيز يكتب الى الامصار يعلمهم السنن والفقه[1]
اما اصول اللغة ونحوها فقد كان تدوينها بامر امراء بنى امية ذكر
ابن خلكان (المجلد الاول صفحة ۲۴۰) ان ابا الاسود الدؤلى استاذ زياد بن ابيه
وهو والى العراقين يوميذ ان يضع للعرب ما يقيمون به لسانهم فابى ثم بدا له
صواب رايه فدعا الدؤلى وقال له ضع للناس الذى نهيتك ان تضع لهم

[1] مقدمة الزرقانى على الموطا

فوضعه واخذ عنه ما وضعه عتبة بن مهران المهری وعنه میمون وعنه عبد الله الحضری وعنه عیسی بن عمر وعنه الخلیل[1] وهؤلاء کلهم کانوا فی عصر بنی امیة وهم واضعوا النحو ومدونوا اصوله،

اما الشعر فقد ففی عصرهم فتقت السنة الشعراء وارتفع قدرهم وانتشر ذکرهم فنحول الشعر وامراء القول وفرسان القریض هم الفرزدق الدارمی وجریر الخطفی والاخطل التغلبی وعمر بن ابی ربیعة القرشی وکثیر عزّة وجمیل بثینة ومجنون لیلی وذو الرّمة غیلان ونصیب وهؤلاء کلهم کانوا یقصدونهم بجیاد قصایدهم فکانوا یغمرونهم بالجوایز فتطقت السنتهم بما اصبح زهرة للادب وزینة للّغة،

وکانوا یحثون الناس علی اقتناء الادب وتناشد الشعر وتدارس اخبار الشعراء وکانوا یستوفدون الشعراء ویستزیرونهم ویجیزونهم بالاموال الجزیلة وکانوا یرسلون ابناءهم الی البادیة لیتسلقنوا الادب ویتلقفوا اللغة من افواه الاعراب واهل البادیة وقد جمع الولید بن یزید عبد الملک دیوان العرب واشعارها واخبارها وانسابها ولغاتها[2]،

اما علم **التاریخ والسیر والمغازی** فبعصرهم افتتح عصره وبامرهم ارتفع امره ففحول اصحاب السیر والمغازی هو وهب بن منبه عالم الیمن المتوفی سنة ۱۱۴ ومحمد بن مسلم الزهری صاحب عبد الملک المتوفی سنة ۱۲۴

---

[1] ابن خلکان المجلد ۲ صفحة ۳۸۰، [2] الفهرست صفحة ۹۱،

وموسیٰ بن عقبۃ المتوفی سنۃ ۱۴۱ وھؤلاء کلھم کتب فی التاریخ والسیر والمغازی[۱]
ووضع فی ایامھم عوانۃ المتوفی سنۃ ۱۴۷ کتاب التاریخ وکتاب سیرۃ معاویۃ و
بنی امیۃ وکان لملوک بنی امیۃ رغبۃ شدیدۃ فی استطلاع الاخبار الماضیۃ و
حوادث الامم الخالیۃ قال المسعودی انہ کان معاویۃ یجلس لاصحاب الاخبار
فی کل لیلۃ بعد العشاء الی ثلث اللیل ثم ینام ثلث اللیل ویقوم فیاتیہ غلمان
وعندھم کتب فیقرؤن علیہ ما فی الکتب من اخبار الامم وسیر الملوک وسیاسات
الدول ولم یصبر علی ذلک حتی استحضر عالم عصرہ عبید بن شریہ من
صنعاء الیمن وسالہ عن الاخبار المتقدمۃ وملوک العجم وسبب تبلبل الالسنۃ
وامر افتراق الناس فی البلاد واصرہ ان یدوّن ما علمہ وعاش عبید الی ایام
عبد الملک وتوفی ولہ من الکتب کتاب الامثال وکتاب اخبار الماضین[۲]
واخذ عنہ اناس سماھم ابن الندیم وکان من رواتہ زید الکلابی فی ایام
یزید بن معاویۃ عارفٌ بایام العرب واحادیثھا (الفہرست صفحۃ ۹۰) وقد
کان ھشام مشغوفا بالسیر والاخبار فنقل لہ جبلۃ بعض کتب سیر الفرس
من الفارسیۃ الی العربیۃ وامر ھشام النقلۃ فنقلوا لہ کتاب تاریخ ملوک الفرس
وقوانین دولتھم وتراجم رجالھم وکان ھذا الکتاب مصورا ثم نقلہ سنۃ ۱۱۳

[۱] راجع کشف الظنون وتذکرۃ الحفاظ،

[۲] کتاب الفہرست صفحۃ ۲۴۴،

راه المسعودی سنة ٣٠٣ فی مدینة اصطخر کما ذکر فی التنبیه (صفحة ١٠٦)،

اما علوم الفلسفة ومنها الطب والکیمیاء فکان لهم فی نقلها الی العربیة آثار صالحة فنقل ابن اثال لمعاویة کتب الطب من الیونانیة وهذا اوّل نقل فی الاسلام وکان فی البصرة فی ایام مروان بن الحکم طبیب ماهر یهودی النحلة عارف بالعربیة اسمه ماسرجویة فنقل ماسرجویه هذا کناش القس اهرون ابن اعین فی السریانیة الی العربیة فلما تولی عمر بن عبد العزیز وجد هذا الکتاب فی خزائن الکتب فی الشام فاخرجه الی الناس وبثّه فی ایدیهم[1] وخالد بن یزید بن معاویة حکیم الامیّة اول من طلب علوم الفلسفة فی الاسلام وخبره انه کان یطمع فی الخلافة فلما وثب مروان علیها رغب خالد عنها الی طلب العلم فاستقدم جماعةً من فلاسفة الیونانیین ممن کان ینزل مدینة مصر ومنهم مریانوس الرومیّ الذی اخذ عنه صنعة الکیمیا والطب وامرهم بنقل الکتب من الیونانیة والقبطیة الی العربیة فنقلوها له ولخالد کلام فی الکیمیا والطب وکان بصیرًا بهذین العلمین متقنًا لهما وله رسایل دالّة علی معرفته وبراعته کما اخبر به ابن خلکان وقد ذکر له ترجمة صالحة ابن النّدیم فی فهرسته ونقل سالم کاتب هشام وهو ابو جبلة المار ذکره رسایل ارسطاطالیس الی الاسکندر فبناءً علی ما قدمنا من القول بنو امیة هم اول من استقدم الفلاسفة

---

[1] اخبار الحکما، وعیون الانباء،

واستدناهم فى الاسلام هم اوّل من امر بنقل العلوم الى العربية فى الاسلام هم اول من انشأ خزاين للكتب فى الاسلام وقد اضربنا صفحا عما كان لآل امية بالاندلس فى السياسة والعلم من المآثر الحسنة والاعمال الجليلة والسير العادلة فهل لك ايها الفاضل المؤلف الى الاذعان للحق من سبيل والى الرجوع من ضلال الراى من طريق،

صنيع المولف بالعباسية عهدنا الوحوش الضارية مع جفاء طبعها وقسوة قلبها وكونها مطبوعة على الافتراس والفتك والتروى بالدم اذا دخلت غابتها واحاطت بها عايلتها تبدّل القسوة بالرحمة والغلظة باللطف والغضب بالحنان فبينما اصطاد ليث كاشر عن الانياب كالح الوجه مستبشع المنظر كريه الهيئة اذ هو هش بش حنون عطوف يذوب لطفا ورقة وكذلك شان قوادا لجند وابطال الحرب فانك ترى احدهم اذا قاتل الاكفاء وناطح الاقران فهو شهاب ينقض ونار تلتهب وسعير تفور واذا عاشر الاصحاب فهو اليهم جانبا واحلاهم خلقا واوسعهم حلما وارقهم طبعا وقد جرّبنا المولف وعجمنا عوده فى معاملته مع اعدايه (بنى امية) فلننظر كيف حاله فى معاشرته مع اصدقايه (العباسية) قال المولف.

"فخيّب بعضهم الى المنصورات بستبدال الكعبة بما يقوم مقامها فى العراق"

تكون حجا للناس فبنى بناء سماه القبة الخضراء تصغيرا للكعبة وقطع الميرة

فی البحر عن المدینۃ" (الجزء الثانی صفحۃ ۳۰)

وقال،

"واراد المعتصم ان یستغنی عن بلاد العرب وقد بنی سامرا بقرب بغداد واقام فیها جنده فانشاء فیها کعبة وجعل حولها طوافا واتخذ منی وعرفات" (الجزء الثانی صفحۃ ۳۲)

وقال،

فلما افضت الخلافة الی المامون ۔ فاخذ لشیاعه وصرح باقوال لم یکونوا یستطیعون التصریح بها خوفا من غضب الفقهاء وفی جملتها القول بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحۃ ۱۴۱)

غیر خافٍ علی احد ان العباسیة ان افتخروا وتطاولوا علی منازعیهم فی الریاسة فمعظم فخرهم وابین حجتهم انهم بنو عم النبی وسدنة البیت وخدمة الحرم ودُعاة الاسلام ونقباء القرآن وصاحبنا یقول ان المنصور وهو موسس دولتهم وفاتحة خلفاءهم بنی القبة الخضراء ارغاما للکعبة وقطع المیرة عن المدینة تضییقا علی اهلها وان المامون وهو افضل خلفاءهم دینا وورعا کان ینکر نزول القرآن وان المعتصم وهو فحلهم وواسطة عقدهم بنی کعبةً فی سامرا وجعل لها طوافًا" ولعلك تقول ان الحاکم بالعدل والقایم بالقسط لیس له حمیم ولا عدو فهو یتحری الصدق ویدور مع الحق کیفما دار

فالمولف اذا اتتها سيئة من بنى العباس قضى عليهم من غير محاباة بهم ولا ميلٍ
اليهم وكذلك اذا عرضت له حسنةٌ من بنى امية فهو يُوفّي حقهم من الاستحسان
وحسن القول وتنويه الذكر فيها ت هذا كان رجاؤنا فخاب الظن وكذب
الامل وذهب الثقة فان المولف لما ذكر بنى امية عقد لمثالبهم ابوابا منها
استخفافهم بالدين وذكر فيه قتال عبد الملك مع ابن الزبير فقلب الرواية
كما اسبقنا ذكره فلو كان مغزى المولف الصدق وبيان الحقيقة لكان يعقد
بابا للعباسية ايضا يذكر فيه استخفافهم بالكعبة وانكارهم لنزول القران
وههنا موضع نظرٍ الى دقة مكيدة المؤلف وحسن احتياله فانه يريد من طرف
الغضّ من الكعبة والحط من القران ومن طرف الانتصار للعباسية والذب
عنهم لاجل انهم كسروا شوكة العرب واتخذوا العجم بطانتهم وعمود دولتهم
فذكر استخفافهم بالكعبة ولكن مغمومًا مبددا تحت عنوان ثروة الدولة
الاسلامية ليأخذ بطرفي المطلوب ويفوز ببغيتيه معًا،

اما كشف الجلية عن اصل الحال فلا مرية من يدعى الخلافة (وهى
منصب دينى) ويرشح لها نفسه لا يجد الى ذلك سبيلا الا بالتظاهر بالدين
والتصبغ به ونصب نفسه لاعلاء كلمته ورفع منارة وحمل الناس على تعظيم
شعائره والتدلّى الى خاصّته القائم به ليجلب عطف القلوب وجذب
الاميال ورضاء العامة والتحبب الى الناس ولذلك كان الخلفاء (بنو امية

والعباسية كلاهما) يصلّون بالناس ويؤمّونهم ويحضرون الموسم ويحجون بهم
اويرسلون من خاصّتهم من ينوب منابهم ويخطبون على المنابر ولذلك
لما اراد اهل الشام المكيدة بعلى رضى الله عنه ورفعوا المصاحف كفّ اصحاب
عليّ من القتال ولما قال عليّ هذه خديعة منهم قالوا اذا لم ترتدّ عن هذا
خلعناك فلم يقدر على خلافهم ورضى بما لم يكن وفق رضاه ولما فعل يزيد
ما فعل ضجّ الناس وكادوا يبطون عليه لولا انه مات عاجلًا ولما اراد الحجاج
قتال ابن الزبير اعزاهم بان ابن الزبير الحد في الدين وزاد على الكعبة ولذلك نصب المناجيق
تلقاء الزيادة التي كان زادها ابن الزبير ولما جاهر الوليد ابن يزيد بالفسق
قاموا عليه وقتلوه ولما قال ابو نواس يمدح الامين وصدّر القصيدة بهذا البيت

الا فاسقني خمرًا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرًا اذا امكن الجهر

اتخذ المامون هذا وسيلة لاغراء الناس على مخالفة الامين فهل
تصدق بعد كل ذلك بان المنصور او المعتصم كان يقدر او يسوغ له ان يصغر
شان الكعبة ويمس من شرفها وهل كان يقدر المامون ان يحمل الناس
على انكار القرآن والعياذ بالله - فامّا استشهاد المؤلف في هذه الواقعة
بابن الاثير وغيره فكله تحريفٌ وتدليسٌ وسوءُ تاوُّلٍ ولولا اني سئمت
من كشف دسائسه مرة بعد اخرى لاوضحت الامر وبيّنت حقيقة الحال،

قال المؤلف ولما تولى المعتصم سنة ٢١٨ واصطنع الاتراك والفراغنة

ازداد العرب احتقارا فی عیون اهل الدولة وتقاصرت ایدیهم عن اعمالها حتی
فی مصر فاصبح لفظ العربی مرادفا لاحقر الاوصاف عندهم ومن اقوالهم العربی بمنزلة
الکلب اطرح له کسرة واضرب راسه وقولهم لا یفلح احد من العرب الا ان یکون
معه نبیٌّ ینصره الله به (الجزء الثانی صفحه ۳۱ و ۳۲)

من احسن اعمال آل عباس عند المولف انهم صغّروا شان العرب و
ساموها الخسف وسلّطوا علیهم الاعاجم والاتراك وجعلوهم ولاة البلاد بیدهم
الامر والنهی والرفع والخفض والعقد والحل والنقض والا بلام ذکر ذلك فی
غیر مواضع وکلما ذکر وجد من نفسه ارتیاحا الیه وشفاءً لحزازته وهزةً
لعطفه ونیلاً لاربه ومعران الواقعة مکنونة او محرّفة علی جری عادته
فنحن لا ننازعه فی ذلك ونطوی الحدیث علی غرته ولکن نقول اذا مدح
احدٌ مثلا دولة افرنسا وقال انهم ذلّلوا الفرنساویین وارغموا انفهم واستلبوهم
المناصب وقلّدوا الولایات الاجانب وجعلوهم قابضی ازمّة الامور یولّون
ویعزلون وینفقون ویمسکون فهل هذا یکون مدحا ترضی به دولة فرنسا
او یکون هذا عارا یستحی منه ومسبّة یستنکف عنها وشناعة تشمأزّ عنها
القلوب وانصف من نفسك ما کان حظّ العباسیین من تولیة الاعاجم
اما آل برمك فلا ننکر فضلهم ومحاسن آثارهم ولکنهم مع کل ذلك
استاثروا بالاموال وانفردوا بالاعمال حتی لم یکن حظّ الخلفاء من الخلافة

الا الاسم فقط فاضطرّ الرشيدُ الى النكبة بهم وازالة دولتهم واما الاتراك فصاروا يلعبون بالخلافة كل ملعب فكم قتلوا من الخلفاء وسجنوهم وعذبوهم بانواع العذاب وتركوهم يموتون جوعًا يسألون الناس ولا يعطون فهل هذه سياسةٌ تمدح ومأثرة تذكر وفضيلة تفتخر بها۔

الخلفاء الراشدون المولف حرفته تاليف الكتب متكسبا به وهو يعرف حق المعرفة انه لو انتقد على الخلفاء الراشدين ونال منهم تصريحا كسد سوقه وخاب صفقته۔ فدبّر لذلك حِيَلًا يكاد لا يتفطن لها اللبيب المتيقظ فضلا عن البليد المتساهل فعمد الى رؤس المثالب ونسبها اليهم بانواع الاحتيال فتارة يتبديها في ثنيّات الكلام وابعادها عن موضع العناية وتارةً باير ادها عرضا موهما عدم الاعتناء بها وتارة بذكرها محتالا لها عذرًا واذا كرّرت النظر في كلامه وتصفحت ما فيه وجمعت ما هو مبدّدٌ ونظمت ما هو مفرّق تكاد تستيقن ان الخلفاء كانوا من اشد اعداء العلم وانهم ابادوا الكتب والخزانات واضطهدوا على اهل الذمة وجعلوهم اذلاء لا يؤذن لهم ولا يوبه بهم،

اما كونهم اعداء العلم فبيّن المؤلف ذلك اجمالا وتفصيلا فقال،

"كان الاسلام في اول امره نهضة عربيّةً والمسلمون هم العرب كان اللفظان مترادفين فاذا قالوا العرب ارادوا المسلمين وبالعكس ولاجل

هذه الغاية امر عمر بن الخطاب باخراج غير المسلمين من جزيرة العرب
وتمكن هذا الاعتقاد في الصحابة لما فازوا في فتوحهم وتغلبوا على دولتي
الروم والفرس فنشأ في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غيرا لعرب
ولا يُتلى غير القرآن "

" اما في الصدر الاول فقد كان الاعتقاد العام ان الاسلام يهدم ما كان
قبله فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن "

" فتوطدت العزايم على الاكتفاء به عن كل كتاب سواه ومحو ما كان
قبله من كتب العلم في دولتي الروم والفرس كما حاولوا بعد ئذ بهدم
ايوان كسرى واهرام مصر وغيرها من آثار الدول السابقة "

(الجزء الثالث صفحه ٣٩)

" وبناءً على ذلك هان عليهم احراق ما عثروا عليه من كتب اليونان
والفرس في الاسكندرية وفارس (الجزء الثالث صفحه ١٣٥)

حريق الخزانة الاسكندرية لم يقتنع المؤلف بذلك فعقد بابًا لاثبات ان حريق الخزانة الاسكندرية كان بامر **عمر بن الخطاب** واطال واطنب في ذلك واستدل عليه بستة دلائل[1] نحن نذكرها مع الرد عليها اجمالًا،

قال اولًا،

[1] الجزء الثالث من تمدن الاسلام،

"قد رايت فيما تقدم رغبة العرب فى صدر الاسلام فى محو كل كتاب غير القرآن بالاسناد الى الاحاديث النبوية وتصريح مقدمى الصحابة"

الذى ذكر قبل ذلك (انظر صفحة ٣٩) وحوّل عليه ههنا اقوال منها "ان الاسلام يهدم ما كان قبله" وكلنا يعرف ان المراد به ابطال عوايد الجاهلية ومزعوماتها وليس المراد محو الكتب او احراق الخزاين ولكن لما كان المؤلف دخيلا فينا غريب الذوق والمعرفة حمل الكلام على غير محله او لعله عارف يتجاهل وبصير يتعامى

ومنها قول النبى عليه السلام "لا تصدقوا اهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنّا بالذى انزل علينا وانزل عليكم والهنا والهكم واحدٌ" واىّ متعلق فى هذا بل هو يخالف ما يريده المؤلف فان الحديث يامر بالايمان بما انزل الى اهل الكتاب اما الاغفال عن تصديق اهل الكتاب وتكذيبهم فلا يكون اهل الكتاب غير موثوقين بهم فى الرواية ومنها ان النبى صلى الله "راى فى يد عمر ورقة من التوراة فغضب حتى تبين الغضب فى وجهه ثم قال لم اتكم بها بيضاء نقية والله لو كان موسى حيًّا وسعه الا اتباعى" وهذا لا مستند فيه للمولف فان النبى صلى الله عليه وسلم خاف على عمر عنايته بالتوراة والتصديق بكل ما فيها مع كونها مغيرة لعبت بها ايدى النقلة ولذلك قال لم اتكم بها بيضاء نقية، وهذا لا يستلزم بل ليس فيه

ادنى اشارة الى محوها والحاق الضرر بها ونزيدك ايضاحًا للكلام بما فيه شفاء الصدر وفصل الخطاب، فاعلم ان عمود الاسلام وقطب رحاه هو **القران** وعليه المعوّل وهو المستمسك في كل باب وكان هو العروة الوثقى في هذا العصر للصحابة واهل القرن الاول و**القران** له عناية كبرى بالتوراة والانجيل وهو الذي نوّه بذكرهما وعظم شانهما، فقال

فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون، والمراد بالذكر التوراة،

انا انزلنا التوراة فيها هدى،

ولو انهم اقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم،

مصدقا لما بين يدي من التوراة،

مصدقا لما بين يديه من التوراة،

ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه (اي التوراة والانجيل)

ولاجل ذلك كان عدة من اجلة الصحابة منقطعين الى قرءة التوراة والانجيل والاعتناء بحفظهما ودرسهما ولم يكتفوا بما يأخذ وايرودون يتفاوضون كل ما وجدوا من اقاصيص اهل الكتاب ومرويا تهم وقد اعترف بذلك المولف نفسه فقال،

"وقد رايت ان العمدة في التفسير على النقل بالتواتر والاسناد من النبي

فالصحابة فالتابعين والعرب يومئذ اميون لا كتابة عندهم فكانوا
اذا اتشوقوا الى معرفة شئ مما تتوق اليه نفوسهم البشرية من اسباب
الوجود وبدء الخلقة واسرارها سالوا عنه اهل الكتاب قبلهم من
اليهود والنصارى۔ فكانوا اذا سئلوا عن شئ اجابوا بما عندهم من
اقاصيص التلمود والتوراة بغير تحقيق فامتلات كتب التفسير من هذه
المنقولات (الجزء الثالث صفحہ ٦٤)

وذكر المؤلف عقيب ذلك وهب بن منبه وانه قرء من كتب الله
٧٢ كتابا ثم قال،

"فكان للعرب ثقةٌ كبرى فيه"، وقال بعد ذلك فكانت كتب التفسير
في القرون الاولى محشوة بالاخبار وفيها الغثُّ والسمين مما نقل اليها
من الاديان الاخرى"،

فانظر كيف يناقض المولف نفسه فقال،

"فنشاء في اعتقادهم انه لا ينبغي ان يسود غير العرب ولا يتلى غير القرآن
"فرسخ في الاذهان انه لا ينبغي ان ينظر في كتاب غير القرآن"
"فتوطدت العزايم على الاكتفاء به (اى القرآن) عن كل كتاب سواه
ومحوما كان قبله من كتب العلم"،

ويقول الآن انّ كتب التفسير في القرون الاولى محشوة بالاخبار.....

مما نقل اليها من الاديان الاخرى وانه كان للعرب ثقة كبرى فى وهب بن منبه وان كتب التفسير امتلاءت من منقولات اهل الكتاب" فلو كان اهل القرن الاول يبغضون ما سوى القرآن ويمحون ما كان قبله من العلم كما يدعيه المؤلف فمن روى الاسرائيلات واقاصيص التلمود والتوراة وحشاها فى التفسير ولما كان المسئلة موضع زيادة تفصيل نزيدك توضيحا وتفصيلاً ،

كانت لعدة من الصحابة وكبراء التابعين عناية كبرى بالتوراة وغيرها من الكتب السماوية فمنهم ابو هريرة الذى كان ملازما للنبى عليه السلام منقطعا الى الرواية ، لعيال انه احدٌ فى كثرة الرواية كان مشغوفا بقراءة التوراة ودرسها قال العلامة الذهبى فى طبقات الحفاظ فى ترجمته "عن ابى رافع عن ابى هريرة انه لقى كعبا (وهو حبر اليهود) فجعل يحدثه ويسأله فقال كعب ما رايت احدًا لم يقرء التوراة اعلم بما فيها من ابى هريرة"

ومنهم عبد الله بن عمرو بن العاص احد من هاجر قبل الفتح، قال الذهبى فى طبقات الحفاظ "كان من ايام النبى صواما قواما تاليا للكتاب لله طلاب للعلم كتب عن النبى صلى الله عليه وسلم علما كثيرا ++ وكان اصاب جملة من كتب اهل الكتاب وادمن النظر فيها ورأى فيها عجايب ،

ومنهم **عبد الله بن سلام** حليف الانصار اسلم وقت مقدم النبى وفيه ورد قوله تعالى ومن عنده علم الكتاب نقل الذهبى بعد ذكر فضايله

وكونه عالما اهل الكتاب رواية بالاسناد يرفعه الى عبد الله بن سلام انه جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم فقال انى قرءت القرآن والتوراة فقال اقرء هذا ليلةً وهذا ليلةً، فهذا ان صح ففى الرخصة فى تكرير التوراة وتدبرها،

ومنهم **كعب الاحبار** كان من كبار اهل الكتاب، اسلم فى زمن ابى بكر قال الذهبى قدم من اليمن فى دولة امير المومنين عمر فاخذ عنه الصحابة وغيرهم واخذ هو من الكتاب والسنة عن اصحابه، فهذا كانه تصريح فى ان الصحابة اخذوا عنه علم اهل الكتاب،

ومنهم **وهب بن منبه** قال الذهبى فى ترجمته "وعنده من اهل الكتاب شئ كثير فانه صرف عنايته الى ذلك، وكان ثقة واسع العلم ينظر بكعب الاحبار فى زمانه، وعن وهب قال يقولون عبد الله بن اسلام اعلم اهل زمانه وكعب اعلم اهل زمانه،

فهل بعد كل هذا يصح قول المولف، ان الصحابة ومن يليهم كانوا يقولون انه لا ينبغى ان يقرء كتابٌ غير القرآن ومحوا ما كان قبلهم من العلم عياذًا بالله،

قال المولف

ثانيًا جاء فى تاريخ مختصر الدول لابى الفرج" ثم نقل رواية الاحراق برمتها واطال فى اثبات ان ابا الفرج ليس باول من روى هذه الرواية

بل ذكرها عبد اللطيف البغدادي عرضا في ذكره عمرو الواري وذكرها القفطي
في تاريخ الحكماء"،

لا ننازع المولف فيان ابا الفرج مسبوق في ذكر هذه الرواية بالقفطي
والبغدادي ولكن ماذا ينفعه ذلك فان البغدادي وهو اقدمهما من القرن
السادس للهجرة وذكر الرواية من غير اسناد ومن غير احالة على كتاب
تعود المولف من صباه بقبول مختلقات اهل الكتاب واوهامهم فسبب
ذلك انه يزن التاريخ الاسلامي بميزانٍ غير ميزاننا ولذلك يصغى الى كل
صوتٍ ويتمم لكل قائل لا يعرف ان هذا الفن له اصول ومبادٍ وقواعد
وما لم يكن الرواية مطابقة لهذه الاصول اليقينية لا يلتفت اليها اصلا
منها ان الناقل للرواية لابد ان يكون شهد الواقعة فان لم يشهد فليبين
سند الرواية ومصدرها حتى يتصل الرواية الى من شهدها بنفسه
ومنها ان يكون رجال السند معروفين بصدقهم وديانتهم،
ومنها ان لا يكون الرواية تخالف الدراية ومجاري الاحوال،
ولذلك اهتم مورخو الاسلام قبل كل شيء بضبط اسماء الرجال
والبحث عن سيرهم واحوالهم وديانتهم ومحلهم من الصدق فدونوا
كتب اسماء الرجال وكابدوا في ذلك محنة يضيق عنها النطاق لبشر
فعملوا كتبا غير محصورة منها الكامل لابن عدي والثقات لابن حبان وتهذيب

الكمال للمزى وتهذيب التهذيب لابن حجر وطبقات الصحابة لابن سعد
ولابن ماكولا وابن عبد البر ولابن الاثير ولابن حجر وتهذيب الاسماء للنووى
وميزان الاعتدال للذهبى ولسان الميزان لابن حجر۔

وتجد كتب القدماء من مورخى الاسلام كلها او اكثرها كتاريخ البخارى
وسيرة بن اسحاق وتاريخ الطبرى وابن قتيبة وغيره مسلسل الاسناد
مبنية الاسماء يمكن نقد الرواية ومعرفة جيّدِها من زَيّفها،

فاوّلُ شئ يهمنا فى هذا البحث ان نرى هل ذكر القفطى والبغدادى
هذه الرواية مسندة وذكرا مصدر الرواية واسماء رواتها ام لا،

وانت تعلم ان البغدادى والقفطى من رجال القرن السادس والسابع
فاىُّ عبرة برواية تتعلق بالقرن الاول يذكرانها من غير سندٍ ولا رواية
ولا احالة على كتاب،

اما كتب القدماء الموثوق بها فليس لهذه الرواية فيها اثر ولا عين هذا
تاريخ الطبرى واليعقوبى والمعارف لابن قتيبة واخبار الطوال للدينورى
وفتوح البلدان للبلاذرى والتاريخ الصغير للبخارى وثقات ابن حبان
والطبقات لابن سعد قد تصفّحناها وكرّرنا النظر فيها ومعجم فتح الاسكندرية
مذكورٌ فيها بقضِّها وقضيضها ليس لحريق الخزانة فيها ذكرٌ،

وعلاوة على ذلك فان فى فتح مصر كتبا مختصة بذلك مثل خطط مصر

للكندی وکشف الممالك لابن شاهین، وتاریخ مصر لعبد الرحمن الصوفی و تاریخ مصر لابن برکات النحوی وتاریخ مصر لمحمد بن عبد الله وغیرها مما ذکرها صاحب کشف الظنون، **والمقریزی** جمع واوعی کل ذلك ولم یترك روایة ولا خبرًا یتعلق بمصر الا وذکره عند تفصیل الفتح ولم یذکر هذه الواقعة عند ذکر فتح الاسکندریة،

قال المولف،

واما خلو کتب الفتح من ذکر هذه الحادثة فلا بد له من سبب والغالب انهم ذکروها ثم حذفت بعد نضج التمدن الاسلامی واشتغال المسلمین بالعلم ومعرفتهم قدر الکتب فاستبعد واحدوث ذلك فی عصر الخلفاء الراشدین فحذفوه ولعل لذلك سببًا آخر، (الجزء الثالث صفحه ۴۵)

لا یستبعد مثل هذا الکلام عن مثل المؤلف وکیف یقدر دیانة مورخی الاسلام وشدتهم فی تحری الصدق ونزاهتهم عن التغییر والتحریف وبراءة ساحتهم عن الحذف والاسقاط، من صار غریزته تعمد الکذب والتحریف والخیانة والمحو والاثبات،

قال المولف،

ثالثًا ورد فی اماکن کثیرة من تواریخ المسلمین اخبار احراق مکاتب فارس وغیرها علی الاجمال وقد لخصها صاحب **کشف الظنون**، (الجزء الثالث صفحه ۴۵)

انظر الى هذا الكذب الفاحش والخديعة الظاهرة فان صاحب الكشف ذكر ما ذكر من عند نفسه من غير نقل رواية ولا استناد ولا استشهاد بكتاب ولا ذكر ناقل ومورخ وصاحبنا يقول انه ورد في اماكن كثيرة من تواريخ المسلمين خبر احراق المكاتب وقد لخصها صاحب كشف الظنون فاين الاماكن الكثيرة واين التلخيص اما قول صاحب كشف الظنون فقد ورد عرضا وتطفلا وكذلك قول ابن خلدون وامثال هذه المواقع لا تحتاج الى كبير اعتناء وزيادة احتياط ولذلك لما ذكر ابن خلدون فتح مصر واسكندرية وهو المظنة لذكر هذه الواقعة لم يتفوه بهذه الرواية اصلا ثم ان ابن خلدون وصاحب كشف الظنون من رجال القرن الثامن وبعده فما لم يذكرا انهما من اين اخذا هذه الرواية لا يعبأ بها ولا يلتفت اليها،

قال المولف،

رابعا ان احراق الكتب كان شايعا في تلك العصور كما فعل عبد الله بن طاهر بكتب فارسية (الجزء الثالث صفحه ٣٥)

يا للعجب، عبد الله بن طاهر من قواد المامون ومن رجال الادب وهذا العصر يمتاز بكونه عصر العلم والمعارف وقد كانت الدولة ورجال حاشيتها وغيرهم عناية كبرى بكتب الاوائل وكانوا يطلبون الكتب من فارس وبلاد الروم وغيرها تجد تفاصيل ذلك في فهرست بن النديم

وطبقات الاطباء واخبار الحكماء وغيرها فكيف يعوّل على هذه الروايات التي ذكرها احدٌ من ثقات المؤرخين وانما استند المولف ببراون المعلم الانكليزي وهو نقلها من تذكرة دولت شاه وهو كتابٌ جامعٌ لكل غثٍ وسمين، ولو صحّ نقلها لكانت على سبيل الندرة والشذوذ فهل يصح قول المولف انّ احراق الكتب كان شايعًا في تلك العصور،

قال المولف، خامسا،

ان اصحاب الاديان في تلك العصور كانوا يعدّون هدم المعابد القديمة واحراق كتب اصحابها من قبيل السعي في تائيد الاديان الجديدة،

(ثم ذكر في تائيد ذلك عمل امبراطور الروم واحراق كتب المعتزلة،

نعم ولكن الراشدين لا يقاسون بغيرهم، ثم ان المسئلة ليست قياسية فما لم تثبت بالرواية لا ينفع مجرد القياس،

قال المولف، سادسا،

في تاريخ الاسلام جماعة من ائمة المسلمين احرقوا كتبهم من تلقاء انفسهم،

(ثم ذكر بعض الحوادث في تائيد ذلك،)

عجبًا لمثل هذا الاستدلال، فان المرء يجوز له ان يفعل بملكه ما يشاء واي حجةٍ في ذلك لاحراق كتب اقوام اخر،

انّ هذه القياسات الواهية لا تغني شيئًا ولكن لوارد ان لا نزيد تشفي

فی ذلک البحث بالقیاس والامارات فعلینا ان ننظر ما کان صنیع الخلفاء الراشدین باثار اهل الذمة ومعابدهم وکنائسهم وامتعتهم وخزاینهم، ان الاصل فی ذلک عهد النبی صلی اللہ علیہ وسلم الذی کتبه لاهل نجران وقد ذکره القاضی ابو یوسف فی کتاب الخراج بحروفه

ولنجران وحاشیتها جوار اللہ وذمة محمد النبی رسول اللہ علی اموالهم وانفسهم وارضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشیرتهم وبیعهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل او کثیر (کتاب الخراج طبع مصر صفحہ ۴۱)

فکان هذا العهد هو العمدة للصحابة عضوا علیه بالنواجذ وتجد فی کل عهود الخلفاء الراشدین کعهد نجران ومصر وشام والجزیرة ان هذا الاصل ای ذمة اللہ ورسوله علی ارضهم وکل ما تحت ایدیهم من قلیل او کثیر محفوظ باق علی حیالتها الاصلیة وعهد مصر هو هذا۔

"هذا ما اعطی عمرو بن العاص اهل مصر من الامان علی انفسهم وذمهم واموالهم وصلبانهم ومدهم وعدهم"

وذکر فی معجم البلدان روایة بزیادة "ان لهم ارضهم واموالهم لا یتعرضون فی شیء منها" وانت تعلم ما لعمر الفاروق من العنایة والشدة فی وفاء العهد باهل الذمة وغیرهم ومع عهده بانهم لا یتعرضون فی شیء من اموالهم وکل ما تحت ایدیهم کیف کان یتعرض لخزانة کنائسهم التی هی من انفس ذخائرهم واغلاها

اعلم انّ مسئلة احراق الخزانة الاسكندرية موضوعٌ مهم عند اهل اوربا وقد طال البحث فيه اثباتا ونفيًا وممّن التمّ بهذا البحث اجمالا وتفصيلا المعلم رويت والمعلم وساسي الفرنساوي في ترجمة كتاب الافادة والاعتبار وواشنگتن ارونگ ودريپر الاميركاني صاحب كتاب الجدال بين العلم والدين وكرچٹن وسيديو الفاضل الشهير الفرنساوي في تاريخ الاسلام والمعلم رينان الفيلسوف الفرنساوي في خطبته الاسلام والعلم، وارنمر گلبين، وللمعلم كريل الالماني رسالةٌ مستقلةٌ في هذا البحث قدّمها في المؤتمر الشرقي الذي انعقد سنة ۱۸۸۸م، اوردَ فيها كل ما كتب الباحثون في هذا البحث نفيا واثباتا وقد طالعت كل هذه المباحثات والمقالات وعملتُ رسالةً في لسان الاردو وترجمت الى الانكليزية ثم الى العربية ترجمها احد من اهل الشام وطُبِعَ شطرٌ منها في جريدة ثمرات الفنون، ومجلة المقتبس،

والحاصل ان محققي اهل اوربا قضوا بان الواقعة غير ثابتة اصلا منهم جبين المورخ الشهير الانكليزي ودريپر الاميركاني وسيديو الفرنساوي وكريل الالماني والمعلم رينان الفرنساوي عمدتهم في انكار ذلك امران الاول انّ الواقعة ليس لها عينٌ ولا اثرٌ في كتب التاريخ الموثوقة بها كالطبري وابن الاثير والبلاذري وغيرها مما مرّ ذكرها واول من ذكرها عبد اللطيف والقفطي وهما من رجال القرن السادس والسابع ولم يذكرا مصدرًا للرواية

ولاسند۔ والثانی ان الخزانۃ کان ضاعت قبل الاسلام اثبتوا ذالک بدلائل لایمکن انکارھا،

قال المؤلف،

"قلنا فیما تقدم ان الخلفاء الراشدین کانوا یخافون الحضارۃ علی العرب ** ولذلک منعوھم من تدوین الکتب ** وکان ھذا الاعتقاد ناشئا فی الصحابۃ والتابعین و تمسک بہ جماعۃ من کبارھم وکانوا اذا سئلوا تدوین علیھما ابوا واستنکفوا (الجزء الرابع صفحۃ ۵۰)

اطال المؤلف ونقل اقوالا عدیدۃ فی اثبات ان الخلفاء الراشدین و الصحابۃ کانوا یمنعون الناس عن الکتابۃ والتالیف ونحن لاننکر ان ھذا کان مذھبا لبعض الصحابۃ والتابعین ولکن الذین رخصوا فی ذلک وامروا بالکتابۃ والتدوین اکثرھم عددا واوفر حجما میزانا واوسعھم نفوذا وقد عقد المحدث المشھور القاضی ابن عبدالبر فی کتابہ جامع بیان العلم (انظر صفحۃ ۳۶ طبع المصر) بابا فی اثبات ذلک ونحن ننقل شطرا منہا، قال "وعن انس بن مالک قال قال رسول اللہ صلی اللہ علیہ وسلم قیدوا العلم بالکتاب وعن عبدالملک بن سفیان عن عمہ انہ سمع عمر بن الخطاب یقول قیدوا العلم بالکتاب وعن معن قال اخرج الی عبدالرحمن ابن عبداللہ بن مسعود کتابا وحلف لی انہ خط ابیہ بیدہ وعن ابی بکر قال سمعت الضحاک یقول اذا سمعت شیئا فاکتبہ ولو فی حائط وعن سعید بن جبیر انہ کان

یکون مع ابن عباس فیسمع منه الحدیث فیکتبه فی واسطة الرحل فاذا نزل
نسخه وعن ابی قلابة قال الکتاب احب الینا من النسیان وعن ابی ملیح قال
یعیبون علینا الکتاب وقد قال الله علمها عند ربی فی کتاب، وعن عطاء عن
عبد الله بن عمرو قلت یا رسول الله أُقیّد العلم قال قیّد العلم قال عطاء
قلت وما تقیید العلم قال الکتاب وعن عبد العزیز بن محمد الدراوردی
قال اول من دون العلم وکتبه ابن شهاب وعن عبد الرحمان بن ابی الزناد
عن ابیه قال کنا نکتب الحلال والحرام وکان ابن شهاب یکتب کلما سمع فلما
احتیج الیه علمت انه اعلم الناس وعن سوادة بن حیان قال سمعت معاویة
بن قرة یقول من لم یکتب العلم فلا تعدوه عالما وعن محمد بن علی قال
سمعت خالد بن خداش البغدادی، قال ودّعت مالک بن انس فقلت
یا ابا عبد الله اوصنی قال علیک بتقوی الله فی السر والعلانیة والنصح لکل
مسلم وکتابة العلم من عند اهله وعن الحسن انه کان لا یری بکتاب العلم باسا
وقد کان املی التفسیر فکتب وعن الاعمش قال قال الحسن ان لنا کتبا
نتعاهدها وقال الخلیل بن احمد اجعل ما تکتب بیت مال وما فی صدرک
للنفقة وعن هشام بن عروة عن ابیه انه احترقت کتبه یوم الحرة
وکان یقول وددت لو ان عندی کتبی باهلی ومالی وعن سلیمان
بن موسی قال یجلس الی العالم ثلاثة رجلٌ یاخذ کل ما سمع فذلک

حاطب ليل ورجلٌ لا يكتب ويستمع فذلك يقال له جليس العالم ورجل
ينتهي وهو خيرهم وهذا هو العالم وعن اسحق بن منصور قال قلت لاحمد
بن حنبل من كره كتابة العلم قال كرهه قومٌ ورخّص فيه آخرون قلت له
لو لم يكتب العلم لذهب قال نعم لولا كتابة العلم اىُّ شئ كنّا نحن قال اسحق و
سالتُ اسحق بن راهويه فقال كما قال احمد سواء وعن حاتم الفاخر و
كان ثقة قال سمعت سفيان الثورى يقول انى احب ان اكتب الحديث
على ثلاثة اوجهٍ حديث اكتبه اريد ان اتخذ دينا وحديث رجل اكتبه
فاوقفه لا اطرحه ولا ادين به وحديث رجل ضعيف احب ان اعرفه
ولا اعبأ به وقال الاوزاعى تعلّم ما لا يوخذ به كما تتعلم ما يوخذ به و
عن سعد بن ابراهيم قال امرنا **عمر بن عبد العزيز** بجمع السنن
فكتبناها دفترًا فدفترًا فبعث الى كل ارضٍ له عليها سلطانٌ دفترا وعن
ابى زرعة قال سمعت احمد بن حنبل و يحيى بن معين يقولان كل من
لا يكتب العلم لا يومن عليه الغلط وعن الزهرى قال كنا نكره كتاب العلم
حتى اكرهنا عليه هؤلاء الامراء فرأينا ان لا نمنعه احدا من المسلمين وذكر
المبرد قال قال الخليل بن احمد ما سمعت شيئًا الا كتبته ولا كتبته الا حفظته ولا حفظته الا نفعنى

الضغط على اهل الذمة

ادعى المولف ان **عمر بن الخطاب** كتب
عهدًا لنصارى اهل الشام وذكر نصه منقولا عن سراج الملوك للطرطوشى

واعترف بان فيه ضغطا على النصارى ثم اعتذر لعمر بان نصارى الشام كانوا يميلون الى قيصر الروم وكانوا من بطانته يتجسسون له فلذلك احتيج الى الشدة بهم والتضييق عليهم،

كل من له ادنى مسكة فى التاريخ يعرف ان **الطرطوشى** ليس من رجال التاريخ وكتابه كتاب ادب وسياسة لا كتاب تاريخ وهو من رجال القرن السادس وانما المعول فى هذا البحث المصادر القديمة الموثوقة بها كتاريخ الطبرى والبلاذرى واليعقوبى وابن الاثير وغيرها وهذا ما كان يخفى على المولف ولكن لاجل هوى نفسه اعرض عن كل هذه وتشبث برواية واهية تخالف الروايات الصحيحة المذكورة باسنادها ورجالها، قال القاضى **ابو يوسف** وهو مع كونه من رجال الفقه عارف بالمغازى والسير بعد ما نقل عهد نصارى الشام وليس فيه ادنى ضغط عليهم ولا شدة بهم،

"فلما راى اهل الذمة وفاء المسلمين لهم وحسن السيرة فيهم صاروا اشداء على عدو المسلمين وعونا للمسلمين على اعدائهم فبعث اهل كل مدينة رسلهم ممن جرى الصلح بينهم وبين المسلمين رجالا من قبلهم يتجسسون الاخبار عن الروم وعن ملكهم وما يريدون ان يصنعوا فاتى اهل كل مدينة رسلهم يخبرونهم بان الروم قد جمعوا جمعا ** فكتب ابو عبيدة الى كل وال ممن خلفه فى المدن التى صالح اهلها يامرهم ان يردوا عليهم ما جبى منهم من **الجزية**

والخراج وكتب اليهم ان يقولوا لهم انما رددنا عليكم اموالكم لانه قد بلغنا
انه جمع لنا من الجموع وانكم قد اشترطتم علينا ان نمنعكم وانا لا نقدر على ذلك
وقد رددنا عليكم ما اخذنا عنكم، فلما قالوا ذلك لهم ورَدُّوا عليهم الاموال
التي جبوها منهم قالوا ردكم الله علينا ونصركم عليهم فلو كانوا هم لم يردوا
علينا شيئًا واخذوا كل شئ بقي لنا حتى لا يدعوا شيئا (كتاب الخراج طبع مصر صفحة ٧)
فانظر الى هذا العدل الذي عجز التبر عن ايتان مثله واعتراف اهل الذمة
بذلك والى قول المولف ان عمر ضغط عليهم وانما ضغط لانهم كانوا من جواسيس الروم،

تاريخ العلوم الاسلامية

اما تاريخ العلوم الاسلامية والتقريظ عليها فقد فقدنا
اليوم في ملتنا من يقوم بهذا العبأ فكيف برجل دخيل فينا مزجاة البضاعة قليل
المعرفة لا يعرف من علومنا الا اسماءً التقاها من ظواهر الكتب وافواه العامة فاذا
تكلم عن شئ منها خبط وخلط وهاك امثلة من ذلك قال "وكان المسلمون غير العرب
هناك اكثرهم الفرس وهم اهل تمدن وعلم فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج
احكام الفقه من القرآن والحديث فخالفوا بذلك اهل المدينة لانهم كانوا شديدي
التمسك بالتقليد" (الجزء الثالث ص ٧) ظن الرجل ان استخدام القياس والراي من
مبتدعات الفرس مع ان اول من سمي بهذا الاسم هو **ربيعة الراي** صرح بذلك
السمعاني في الانساب وهو من اهل **المدينة** وممن اخذ عنه الامام مالك، وان
المالك رض والشافعي رض وابا يوسف رض والامام محمد رض كلهم يستعملون القياس معكونهم

من العرب اَرومةً وموطناً واداةً وان الفارق بين اصحاب الرای والحدیث لیس
استعمال القیاس وفصل القضیة فی ذلك تجده فی کتاب حجة الله البالغة لشاه ولی الله
الدهلوی من متاخری حکماء الاسلام۔ ثم قال المولف "فکان من جملة مساعی المنصور
فی تصغیر امر المدینة وفقهائها وخصوصاً مالك بعدان افتی بخلع بیعته انه
نصر فقهاء العراق القائلین بالقیاس وکان کبیرهم یومئذ ابا حنیفة النعمان فی
الکوفة فاستقدمه المنصور الی بغداد واکرمه وعزز مهنه به"

ظلمات بعضها فوق بعض ما کان ابو حنیفة ارفع مکانة عند المنصور من مالك
فان ابا حنیفة کان هواه مع ابراهیم الخارج علی المنصور وکان افتی بنصرة ابراهیم
ولذلك اراد المنصور المکیدة به فاستدعاه وعرض علیه القضاء ولما لم یرض به سجنه
وامر بضربه حتی مات فی السجن، اما ما قال عن تصغیر امر الامام مالك فیخالف الروایات
الصحیحة الثابتة قال القاضی بن عبد البر فی کتاب جامع العلم (صفحة ۷۰) عن
محمد بن عمر قال سمعت مالك بن انس یقول لما حج ابو جعفر المنصور دعانی فدخلت
علیه فحدثته وسالنی فاجبته فقال انی عزمت ان امر بکتبك هذه التی وضعتها
یعنی الموطاء فینسخ نسخا ثم ابعث الی کل مصر من امصار المسلمین منها نسخة و
امرهم ان یعملوا بما فیها لا یتعدوها الی غیرها ویدعوا ما سوی ذلك من هذا العلم الحدیث
فانی رایت اصل هذا العلم روایة اهل المدینة وعلمهم الخ۔

قال "وکان ابو حنیفة لا یحب العرب ولا العربیة حتی انه لم یکن یجیز الاعراب ولا یبالی به

(الجزء الثالث صفحة ١٤ مستندا بابن خلكان) نعوذ بالله من هذا الكذب الظاهر والمين الفاحش استشهد المؤلف فى هذه الواقعة بابن خلكان والحال ان ابن خلكان ذكر فى تاريخه فى ترجمة ابى حنيفة بعد ذكر محاسنه ان الخطيب البغدادى اطال فى مثالب ابى حنيفة ثم انكر عليه ذلك وقال ما كان يعاب ابو حنيفة الا بقلة العربية فانه قال ولو رآه بابا قيس ثم اعتذر له بنوع من العذر وليس فيه اقل شئ يومى الى ان ابا حنيفة كان لا يحب العرب والعربية، ثم ان ابا حنيفة كان ناقما على العباسية الحامين للفرس وكان من شيعة زيد الامام ابن الامام زين العابدين وكان تلميذ الحماد وهو تلميذ الابراهيم النخعى وكلهم عرب - ثم اصحابه الملازمون له والناشرون لفقهه والقائمون بدعوته اى ابا يوسف ومحمدا وزفر كلهم عرب، اما لحن ابى حنيفة فمعلوم انه عجمى وكم من الاعجام الذين هم رؤس الادب ووجوه العربية كحماد الراوية وغيره كانوا يلحنون وكان هذا طبيعتهم وغريزتهم،

فمن كان هذا مبلغه من العلم ومحله من النظر هل يصلح لسلوك هذا الطريق الوعر والخوض فى غمار هذا البحث الدقيق الذى يحتاج الى التضلع فى العلوم الاسلامية والتوسع فيها مع سعة النظر ووفرة المواد واصابة الراى وشدة الفحص وافراغ الجهد وتكميل الادوات ثم ان الرجل ههنا هو الرجل الذى عهدناه قبل ذلك فى سوء طويته وكامن حقده وتحامله على العرب واعتياده بالتحريف وتمرنه بسوء التاول وتلبيس الكلام وهاك امثلة من هذه،

قال (تحت عنوان الفقه) فلما افضى الامر الى بنى العباس واراد المنصور تصغير العرب واعظام امر الفرس لانهم انصارهم واهل دولتهم كان من جملة مساعيه فى ذلك تحويل انظار المسلمين عن الحرمين فبنى بناءً سماه القبة الخضراء حجًّا للناس وقطع الميرة عن الحرمين وفقيه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير فاستفتاه اهلها فى امر المنصور فافتى لهم بخلع بيعته (الجزء الثالث صفحة ١٧)

وهذا كله كذبٌ واختلاقٌ والمنصور ابعد محلا وابرءُ ساحة من ان يبنى بناءً ارغامًا للكعبة وقد سبق لنا الكلام فيه فاما قطع الميرة عن المدينة فلم يكن الا حجرا على محمد وتضييقا عليه لما قام بالخلافة وقد صرّح بذلك المقريزى (الجزء الثانى صفحة ١٤٣) فقال "وذكر البلاذرى ان ابا جعفر المنصور لما ورد عليه قيام محمد بن عبد الله قال تكتب الساعة الى مصر ان تقطع الميرة عن اهل الحرمين والامام مالك كان هواه مع محمد يحرض الناس على مؤازرته وافتى بخلع بيعة المنصور" فانظر كيف قلب المولف الحكاية وصرفها عن وجهها فخروج محمد وافتاء الامام مالك متقدمان على قطع الميرة عن المدينة وخروج محمد هو السبب فى قطع الميرة والمولف يقول ان قطع الميرة انما كان ارغامًا للحرمين وان الامام مالك افتى لذلك بخلع بيعته.

قال المولف بعد ما ذكر رغبة بنى امية فى الشعر وتنشيطهم للناس (تحت عنوان الشعر وبنو امية) وقد يتبادر الى الاذهان انهم كانوا يفعلون ذلك رغبة فى الادب وتنشيطًا لاهله لان الشعر سجية فى العرب ودولة الامويين عربية

بحجته ولكن الاغلب انهم كانوا يفعلونه للاستعانة بالسنة الشعراء على مقاومة اهل البيت الخ
(الجزء الثالث صفحه ١٠٢) فانظر الى هذا التحامل المفرط والحيف الشديد فانه
لما لم يجد سبيلا الى انكار ما لبنى امية من الايادى فى ترويج سوق الادب ورفع منار
الشعر والاخذ بناصر علماء العربية واعطاء الصلات المتكاثرة للشعراء احتال لدفعه
بابداء احتمال انهم كانوا مدفوعين الى ذلك سياسة،

قال وقد تقدم فى كلامنا عن الفقه ان المنصور اخذ بناصر اصحاب
الراى والقياس واستقدم ابا حنيفة الى بغداد ونشطه لهذه الغاية وظل
الميل الى القياس متواصلا فى بنى العباس **والاعتزال** قرب المذاهب الى اصحاب
الراى الخ (الجزء الثالث صفحة ١٤٠) انظر الى ما بلغ به حال المؤلف فى جهله بالمعارف
الاسلامية حتى انه يقرن بين **الاعتزال والراى** ويعدهما من جنس واحد
ولم يدر المسكين ان لا رابط بينهما فان الاعتزال احد المذاهب الكلامية والراى
والقياس من احد اصول الفقه ومعظم اصحاب الراى والقياس بل كلهم
(الا الشاذ النادر منهم) كابى حنيفة ومحمد وابى يوسف وزفر وابى لولو والطحاوى
والخصاف وابى بكر الرازى والدبوسى وغيرهم كانوا قائمين على **الاعتزال** وكانوا
يعدون المعتزلة من اهل الاهواء والضلالة،

قال فلما افضت الخلافة الى المامون فاخذ بناصر اشياعه وصرح باقوال
لم يكونوا يستطيعون التصريح بها خوفا من غضب الفقهاء وفى جملتها القول

بخلق القرآن ای انه غیر منزل (الجزء الثالث صفحة ١٤١)،

وهل یکون کذبٌ اعظم من هذا فان خلق القرآن او قدمه لا مساس له بالتنزیل او عدمه فان الاختلاف فی ان هل الکلام صفة حادثه تقوم بالله تعالی وهو صفة قدیمة **فالمعتزلة** قالوا لحدوثه حذرا من تعدد القدماء واهل السنة وغیرهم قالوا بقدمه لان الحادث لا یقوم بقدیم فامّا ان القرآن کلام الله تعالی منزل الی الرسول فهذا لا یختلف فیه اثنان۔

قال واما الفلسفة بحد ذاتها فقد کان اصحابها متهمین بالکفر وکانت الانتساب الیها مرادفا للانتساب الی التعطیل وقد شاع ذلک فی **بغداد** بین العامة حتی فی ایام المامون ولذلک سماه بعضهم امیر الکافرین (الجزء الثالث صفحة ١٧٠) استشهد المولف فی هذا القول بالیعقوبی ونحن ننقل عبارته حتی تعرف مقدار سخدیعة المولف، قال الیعقوبی "وشخص هو ثمة من العراق الی مرو سنة ٢٠١ وقیل انه انصرف بغیر اذن من المامون فلما دخل علی المامون ××× قال من نقرس ولا یمکننی مشی فی محفة ××× وکلم المامون بکلام علیه ودخل معبی بن عامر ابن اسمعیل الحارثی فقال السلام علیک یا امیر الکافرین فاخذته السیوف فی مجلس المامون حتی قتل فقال هو ثمة قدمت هذه المجوس علی اولیاءک وانصارک واتوا محمد بن صالح بن المنصور فقالوا نحن انصار دولتکم وقد خشینا ان تذهب هذه الدولة بما حدث فیها من تدبیر المجوس"، (الیعقوبی صفحة ٥٤٦ و ٥٤٧)

ان المامون استوزر حسن بن سهل وكان مجوسيا اسلم فتقدم العرب على المامون وقالوا انك قد مت المجوس وقال له يحيى السلام عليك يا امير الكافرين فهذا كله من السياسة لا مساس لها بالفلسفة والاعتزال وابن هرثمة ويحيى بن عامر الحارثي من اهل الجند ما عرفا الفلسفة ولا سمعا بها،

قال المؤلف ولكن الاسلام كان اقرب الى اطلاق حرية الفكر والقول وخصوصا في وائله فلم يكن احدهم يستنكف من ابداء ما يخطر له ولو كان مخالفا لرأي الخليفة ولذلك كثرت الفرق الاسلامية يومئذٍ وتعددت مذاهب اصحابها في القراءة والتفسير والفقه وفي كل شيء حتى ذهب بعضهم الى ان سورة يوسف ليست من القرآن لانها قصة من القصص والقائلون بذلك العجاردة (الجزء الثالث صفحة ٦١) انظر الى هذه الخديعة يمدح الاسلام بكونه اقرب الى حرية الفكر ويدس قبله ان بعض الطوائف الاسلامية كانت تنكر ان سورة يوسف من القرآن وهم العجاردة يوهم بذلك ان العجاردة فرقة من الفرق الاسلامية وان انكار بعض سور القرآن كان مذهبا من مذاهب الاسلام مع ان العجاردة وهم حماد عجرد واثنان اخران معروفين بالالحاد والزندقة والمروق عن الاسلام ذكرهم ابن خلكان والشهرستاني وغيرهما،